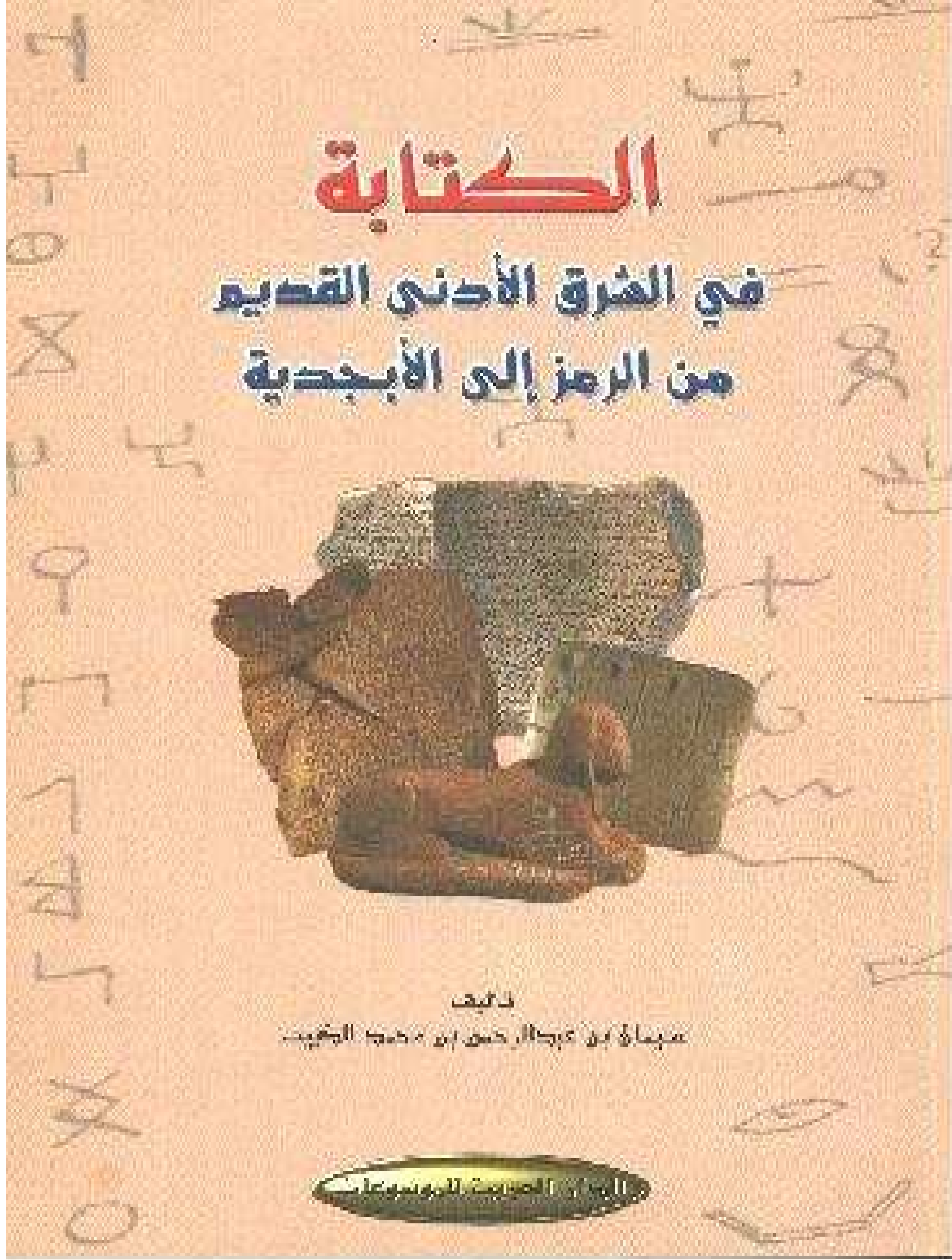

الكتابة
في الشرق الأدنى القديم
من الرمز إلى الأبجدية
تأليف
الدار العربية للموسوعات

الكتابة
في الشرق الأدنى القديم
من الرمز إلى الأبجدية

تأليف

سليمان بن عبدالرحمن بن محمد الذييب

١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

بين يدي الكتاب

بداتُ إعداد هذه الدراسة المتواضعة منذ ما يربو على عقدين من الزمن، وتحديدًا عندما توليتُ تدريس مادة نشأة الكتابة وتطورها بقسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود؛ لكن ظروفًا متعددة دفعتني، من وقت إلى آخر، إلى التوقف والانشغال بأعمال أخرى. وقبل عدة شهور عندما عقدتُ العزم وحزمتُ أمري على نشر هذه الدراسة، وذلك لثلاثة أمور: أولها ما تم بشأن تطوير قسم الآثار والمتاحف وتحويله إلى كلية باسم: "كلية السياحة والآثار"، ولزامًا لهذا التطور العلمي ارتأى مجلس قسم الآثار والمتاحف تطوير منهج مادة نشأة الكتابة وتطورها إلى مادتين، تكون المادة الأولى ذات علاقة مباشرة بنشأة الكتابة. والثانية المسماة "النقوش العربية القديمة"، تركز على تدريس النقوش السامية وتعليمها. ثانيها ما حدث أثناء تجوالي في معرض الرياض الدولي للكتاب، حيث وقع بين يدي كتاب ألفه نمساوي يدعى: أرنست دوبلهوفر، عنوانه "رموز ومعجزات: دراسة في الطرق والمناهج التي استخدمت لقراءة الكتابات واللغات القديمة"، قام بعناء ترجمته ونقله إلى العربية بكل نجاح الدكتور "عماد حاتم". وحال قراءتي لهذا العمل الإبداعي وجدتُ نفسي أقف مذهولاً ومدهوشًا أمام الجهد الجبار والرائع الذي قام به هؤلاء العلماء الأفذاذ لفك رموز هذه الكتابات وعلاماتها، وأرى أن جهودهم هذه - دون تحيز- لا تقل بأي حال عن جهد مخترعيها ودورهم. ثالثها الدعم الذي لقيته من الإخوة الزملاء بقسم الآثار، كلية السياحة والآثار، فما فاتحتُ أحدهم برغبتي في إعداد دراسة

متواضعة تخدم القارئ المثقف ليعرف قصة الكتابة، فضلاً عن تقديم نبذة مختصرة تليق بجهود هؤلاء العلماء الخالدين بعلمهم وجهدهم وإبداعهم المتميز، حتى وافقني وأيدني على هذا المنهج.

والواقع إن ما لفت نظري بعد قراءتي لهذا الكتاب الممتع، العوامل التي نفتقدها فينا وفي مجتمعاتنا العربية، أو لنكن أكثر دقة، مجتمعات العالم الثالث، والتي ساعدت هؤلاء العلماء الأفذاذ على إبداعاتهم ونجاحاتهم، مثل فك رموز هذه اللغات في فترة تزيد على القرنين من الزمن (وهي الفترة الزمنية التي أخذتها الكتابة لتتحول من مقطعية إلى أبجدية). أول هذه العوامل الصبر والجد والأمانة والإتقان الواضح في أبحاثهم ودراساتهم. والثاني عملهم - رغم الفارق الزمني والبعد الجغرافي- كفريق متكامل يساعد بعضهم بعضًا، وأخذهم دراسات معاصريهم وسابقيهم وأبحاثهم أساسًا وأرضية لأبحاثهم، مع ظهور روح التنافس الحاد والشديد؛ لكنه الشريف. الثالث عدم ترددهم في نقد دراسات بعضهم وأبحاثهم وتقويمها في سبيل النهوض بهذا العلم وتطويره. الرابع قدرتهم القوية على الاعتراف بالخطأ والفشل والتراجع عنه مع شكر من لفت نظرهم إلى الأخطاء التي وقعوا فيها، وهكذا لا يوجد عندهم أستاذ وتلميذ، فكلهم معرضون للخطأ والنقد، كما للنجاح. الخامس خلفيتهم العلمية، فغالبية من شارك في هذه الإنجازات والإبداعات القيمة متمكنون في علمين هامين هما: علم اللاهوت وعلم الرياضيات؛ فالعلمان يوفران المنطق في الأول والقياس في الثاني.

والواقع أن هذه العوامل وغيرها، نفتقدها في أوساطنا العلمية، مع

الأسف الشديد، لدينا، ولا مجال للخوض فيها حتى لا أفهم من أحد خطًأ؛ لكنني أجد نفسي مضطرًا إلى التوقف عند علمي اللاهوت والرياضيات؛ فالأول يتضمن دراسة وافية للكتاب المقدس (بعهديه القديم والجديد)، وما له علاقة بتاريخ ما ورد في هذين الكتابين من أحداث ومعلومات. ولعل ما نلمسه من ضعف واضح في منهج الباحثين العرب - وأنا بطبيعة الحال أحدهم- مردهُ ضعفنا الشديد في فهمنا ودراستنا المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه المختلفة تفسيرًا، ولغًة، وتاريخًا، وقد يقول قائل: ما علاقة التعمق بعلوم القرآن الكريم بالعلوم الإنسانية والطبيعية؟ أقول إنها علاقة وثيقة جدًا، فهي مثل العلاقة بين السحاب والمطر؛ فلا مطر بدون سحاب، أو الصدق والأخلاق، فلا أخلاق بدون صدق؛ وإلا فأين باحثونا في مناقشة قضايا المجتمع ووضع الحلول الناجعة لها، أليس من المعيب والمخجل، على سبيل المثال، أن الدراسات الحديثة المتعلقة بالإبل أو النخيل وأمراضهما تأتينا من الغرب، الذي لا يتعامل بشكل يومي معهما. بل الأدهى والأمر أن المهندسين المعماريين الغربيين هم الذين قاموا ويقومون بمواجهة العديد من المشكلات التي تظهر من وقت إلى آخر في الحج، مثل جسر الجمرات والخيام وغيرها، خذ مثلاً مشكلة الأضحية، أو قضية رمي الجمرات لازالتا تراوحان مكانهما دون بذل جهد واضح يبرئ الذمة من قبل الباحثين والعلماء، ولنتذكر أن حملة الشهادات العليا، وتحديدًا الدكتوراة من العرب يفوق مرات حامليها في أمريكا لوحدها، لكننا غثاء كغثاء السيل.

والأمر المحزن أن منهجنا الحالي لا ينذر فقط بالخطر؛ ولكنه أوقعنا

في مستنقع التخلف الذي لا مخرج منه إلا بعودة الأمور إلى نصابها، فنحن بحاجة ماسة إلى إعادة الاعتبار للعلوم الإنسانية؛ فهي المحرك الفاعل لكل العلوم، وعلى قمتها علوم القرآن الكريم، وعلم التاريخ، فهما ليسا - كما يقال- عثرة في طريق العلم، بل هما أساس تقدمه وتطوره، بشرط أن يلازم تدريسهما الانفتاح على الآخر، والتخلص من مبدأ "سد باب الذرائع"، والأمانة والاتقان في العمل بمعنى آخر إعادة الحياة إلى عقولنا وقلوبنا عن طريق تقبل الحوار والاختلاف والاجتهاد، ولنا أسوة حسنة بعلماء المسلمين إبان قوتهم الحضارية والثقافية، فقد عاشوا في بيئة ساعدتهم على الإبداع والخروج بأطر تخدم المجتمع الإنساني، وأكاد أجزم أنك أخي القارئ لو قرأت سيرة واحدًا منهم لتبين لك رغم إبداعه في العلوم الطبيعية تبحره في علمي القرآن الكريم والتاريخ. وما أريده وألمح إليه هنا حاجتنا لدراسة القرآن الكريم وتعلمه وتطبيقه، بل والتعامل اليومي مع روحه، الذي تجعل آياته العمل من الإيمان الكامل، فكثرة مدارس تحفيظ القرآن الكريم في البلدان الإسلامية - وهذا أمر محمود- يجب أن يوازيه تعلم روح القرآن الكريم وتطبيقه باتباع تعاليمه، فمن المعلوم أن قلة من الصحابة كانت تحفظ القرآن الكريم؛ لكنهم جميعًا تعلموا روح القرآن الكريم وطبقوه، وفي أيامنا صار هذا الأمر بخلاف ذلك، فالكثير يحفظ القرآن الكريم، أو يسعى ويتمنى أن يحفظه؛ لكن قلة قليلة جدًا منا تسعى أو حتى ترغب في التعامل بروح القرآن الكريم، فالأمانة والصدق والإخلاص والوفاء والعمل الجاد ... إلخ ضعيفة في واقع حياتنا وتصرفاتنا الحياتية. ومما يؤسف له أن روح تعاليم القرآن الكريم نجدها واضحة في حياة الغربيين، الذين - شئنا أم أبينا- يهيمنون

بعلمهم وقوتهم وأفكارهم على العالم المعاصر، فانظر مثلاً إلى الذين يقفون وراء نشر العولمة بشقيها الإنساني والطبيعي، ومن هم الذين يقفون وراء نظريات صراع الحضارات ... إلخ، إنهم المؤرخون المتسلحون بالعلوم كافة، ومنها علم اللاهوت.

أعترف أن من أسباب إهمال المجتمعات الإسلامية لهذين العلمين لا يعود لنقص فيهما، بل بسبب ضعف من يتناول موضوعاتها، فإن الله سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فالأمر بين يدي المختصين في علوم القرآن الكريم والمؤرخين الذين عليهم واجب إعادة الروح إلى المجتمع بنشر ثقافة مفهومها أن الحرية والاختلاف يجب أن يكونا لخدمة المجتمع الإنساني.

ولا يفوتني في هذه العجالة أن أقدم جزيل شكري وعرفاني لجميع الإخوة الزملاء الدكاترة عبدالعزيز بن صالح الهلابي، وعمر بن سليمان العقيلي، وحسين الشيخ الأساتذة في قسم التاريخ، والدكاترة أحمد محمود عيسى، والعباس سيد علي، وأحمد بن محمد العبودي، وسالم بن أحمد طيران، ومشلح بن كميخ المريخي الأساتذة في قسم الآثار- كلية السياحة والآثار والدكتور محمد بن عبدالرحمن الديحان، قسم المناهج، كلية التربية، والدكتورة وداد البشار والأخ جمال عمر سعد الذين شرفوني بقراءة هذه الدراسة وإبداء آرائهم وتصويباتهم، على أنني أخص منهم الإخوة: عبدالله بن محمد المنيف، من مكتبة الملك فهد الوطنية، الذي أتحفني بأن وضع بين يدي العديد من الأبحاث والدراسات التي بدونها ما كان هذا العمل المتواضع ليخرج بصورته هذه، والآخر

الدكتور فهد بن علي الحسين، من قسم الآثار، كلية السياحة والآثار، الذي بذل جهدًا طيبًا في تصحيحه وقراءته للدراسة، فله مني الشكر والتقدير والدعاء بالتوفيق، والثالث أخي العزيز عبدالله بن عبدالرحمن الذييب فقد كانت آراؤه واستنتاجاته خلال مناقشاتنا في هذا الموضوع نبراسًا أضاء لي الكثير.

أخيرًا، أسأله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا وأن يجعله مفيدًا للقارئ الراغب في معرفة المزيد عن قصة الكتابة، إنه سميع مجيب الدعاء.

سليمان بن عبدالرحمن الذييب

قسم الآثار - كلية السياحة والآثار

جامعة الملك سعود

الرياض ١٤٢٧/٩/٩هـ

المقدمة:

أتفهم شخصيًا القرار الذي اتخذته جمعية "باريز" اللغوية سنة ١٨٦٦م بحظر مناقشة البحوث التي تتناول أصول اللغة (مونين، ١٩٧٢م، ص١٦)، إذ إن الولوج في دراسات وأبحاث لها علاقة بهذا الموضوع يُدخل الباحث في مناطق شائكة، بل ملغومة، تؤدي في الأغلب الأعم إلى التشكيك، فضلاً عن دخوله - أي الباحث- في نفق يصعب الخروج منه دون المساس ببعض المعتقدات!

ونحن جميعًا نعلم أن أبانا آدم وأمنا حواء كان يتحدثان معًا في الجنة؛ وأنهما تحدثا مع الملائكة وإبليس عدو الله، الذي أغواهما بالأكل من الشجرة، بل إن آدم عليه السلام قد تحدث وتناقش مع الملائكة عندما أمره الله عز وجل بإخبار الملائكة بأمور كانوا يجهلونها، علمه إياها الله سبحانه وتعالى.

والسؤال هنا هو عن ماهية اللغة ونوعها التي كانت محكية في جنة الخلد آنذاك؟ وهل هي اللغة ذاتها التي تواصل أبونا آدم وأمنا حواء وتحدثا بها في الأرض بعد هبوطهما؟ وأبعد من ذلك، نعرف جميعًا من القرآن الكريم أن الملائكة يتحدثون مع أصحاب الجنة - جعلنا الله منهم- ، ومع أصحاب النار - نعوذ بالله منها- ، والمعلوم أن المؤمنين والكفار يتحدثون لغات مختلفة تصل إلى المئات، فكيف استوعب المؤمن أو الكافر، الصيني أو الهندي أو العربي أو الغربي حديث الملائكة ونقاشهم معه؟. وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها فإننا نختار الإجابة التي تخرجنا من هذا الوضع الشائك والدقيق، وهي أن الله سبحانه وتعالى

بقدرته العظيمة، وهو القائل: ﴿**كُنْ فَيَكُــونُ**﴾ (البقرة: من الآية ١١٧) جعل لغة واحدة وحيدة في الدار الآخرة يعرفها الجميع ويفهمونها: ملائكة، وبشر مؤمنون، وكفار؛ لأمرين: الأول ذكرناه أعلاه، وهو حديث الملائكة مع أصحاب الجنة والنار، والثاني ما نفهمه من حديث الرسول ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى، حول رحلته المعروفة باسم الإسراء والمعراج، فقد التقى خلالها بعدد من الأنبياء وتحدث معهم نحو حديثه ﷺ مع كليم الله موسى عليه السلام الذي أنبأ الرسول ﷺ أن أمته لن تطيق الصلوات الخمسين؛ والمعلوم لدينا أن كليم الله موسى كان يتحدث العبرية، في حين كان محمدًا ﷺ ، لا يعرف ولا يتحدث إلا العربية، مما يجعل ضرورة وجود لغة وحيدة معروفة في السماوات العلا يعرفها - بقدرة الخالق سبحانه وتعالى- الجميع ويتحدثون بها. وهنا قد يقول أحدهم نحن نرى أن وجهة النظر هذه مرجحة، لكن ما اللغة التي استخدمها الرسول ﷺ عندما أمَّ الرسل والأنبياء في بيت المقدس - فك الله أسره- ، وهؤلاء الرسل والأنبياء يتحدثون لغات مختلفة؟ نقول: إن هناك إجابتين: الأولى أن الله سبحانه وتعالى، بقدرته التي لا يضاهيها شيء، جعل الجمع يفهم العربية التي أم بها الصلاة، أو أنه ﷺ صلى باللغة المتداولة والمعروفة في السماوات العلا. وإذا أخذنا بهذا فما هذه اللغة المتداولة؟ فهل هي العربية كما يؤكد المسلمون أم العبرية كما يصر اليهود أم أخرى كما يعتقد آخرون؟ فالمسلمون يرون أنها العربية لأن الله شرفها وأنزل كتابه القرآن الكريم بها، فضلاً عن أنها لغة أفضل رسله وآخرهم محمد ﷺ. ونحن نعرف من القرآن الكريم حقيقة ثابتة لا يمكن الشك بها، وهي أن الله سبحانه وتعالى تحدث مع كليمه موسى عليه السلام، فهل كان حديثه جل وعلا باللغة العبرية؟ ومما يرجح أنها كذلك

أن موسى عليه السلام أخذ معه أربعين مؤمنًا من اليهود عندما شرفه الله في حديثه الثاني.

ويجدر بنا الإشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى إن كان قد شرف بعض اللغات مثل العربية بالقرآن الكريم، والآرامية ببعض الأسفار، والعبرية بالتوراة والزبور، فإنه قد شرف اللغة المصرية القديمة، حيث خاطب الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام: ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾ (طه: من الآية ٤٦)، وهي إشارة واضحة إلى سماعه عز وجل لحديث كليمه موسى مع فرعون مصر الذي كان حديثهما - كما نرجح- بالمصرية القديمة.

وما ذكرناه أعلاه قد لا يكون مقبولاً أو حتى مقنعًا عند البعض، لكن ما يجب التذكير به أن النقاش حول هذا الموضوع ليس وليد الحضارة الغربية المعاصرة أو الإسلامية السابقة لها، بل يعود إلى ما يزيد على الألفين والخمسمائة عام من اليوم.

والنقاش حول أصل اللغة أو أصولها منذ ما قبل العصر الحاضر لم يخرج عن نظريتين رئيستين: أولاهما: المسماة النظرية اللاهوتية، والتي نستحسن تسميتها بالنظرية الدينية، وقد قال بها الفيلسوف الإغريقي هيراكليت (Heraclite) (٥٥٦- ٤٨٠ ق.م)، ومفادها أن اللغة هي إلهام هبط على الإنسان فعُلم النطق وأسماء الأشياء (وافي، بدون، ص٣٠)[1]. وهذا القول أخذ به وتبناه أصحاب المعتقدات الدينية

---

[1] مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (البقرة: ٣١) في حين ما أوردته التوراة حول هذا الأمر قول كاتبها:

السماوية، واعتبروها توقيفية إلهية.

أما ثانيهما فهي النظرية التي أسميها "النظرية الفلسفية"، وتعود إلى صاحبها الفيلسوف اليوناني ديموكيت (Democte)، الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، ومفادها أن اللغة استحدثت بالتواضع والاتقان وارتجال الألفاظ ارتجالاً، بمعنى آخر كما عدها العلماء لاحقًا، أنها مكتسبة وحصيلة اختراع إرادي لكنه طارئ، أو أنها اكتشاف عارض (مونين، ١٩٧٢م، ص١٨).

وهاتان النظريتان كانتا متداولتين بين المهتمين حتى بدايات العصر الحديث، ومع تطور العلوم نتيجة للتقدم العلمي المذهل، ظهرت نظريتان دفعتا البعض إلى نفي النظريتين السابقتين وإنكارهما، وهاتان النظريتان الجديدتان هما البيولوجية، والأنثربولوجية؛ فالأولى تفترض أن اللغة انحدرت شيئًا فشيئًا من تطور الحركات والأصوات التعبيرية العضوية الناجمة عن انفعالات الحيوان والإنسان، أي أن اللغة نشأت من تقليد الصيحات أو الضجة الطبيعية، كأن تكون الضجة الطبيعية محاكاة أصوات طبيعية، أو من أصوات تعجبية عاطفية صادرة عن دهشة أو فرح أو وجع أو حزن أو استغراب أو تقزز أو تأفف، وتمثلها على سبيل المثال، نظريات البو - وو (Bow- Waw)، والأصوات التعجبية العاطفية المعروفة باسم: Pooh- Pooh. أما النظرية الثانية الأنثربولوجية فتشير إلى وجود

"جعل الرب من الأرض جميع الحيوان وجميع طير السماء وأتى بها آدم ليرى ماذا يسميها" (مونين، ١٩٧٢م، ص٨٢). وكان الآكاديون قد أعادوا نشأة اللغة إلى رجلٍ جاء على هيئة سمكة يدعى "أوسس" أو "أوانس" ظهر للوجود ليعلم الناس العلوم والفنون والحرف (مونين، ١٩٧٢م، ص٥٧).

علاقة متبادلة بين المصدر الصوتي وبين معناه، وأحيانًا إلى الأصوات المرافقة لجهد عضلي، والحركات التعبيرية، وكان أساسها اتجاه بعض الباحثين إلى مراقبة ودراسة الكيفية التي ينتهجها الطفل في اكتسابه للغة.

وتجدر الإشارة إلى ظهور لغة تعرف باسم لغة الإشارات التي اعتبرها ريتشارد باجت (Paget) الجسر الذي أوصلنا إلى اللغة المحكية، فقد كان الإنسان - كما يقول- سعيًا منه التخاطب والتواصل مع الآخر يستخدم يديه ويُقلص عضلات وجهه؛ وتدريجيًا وتحديدًا بسبب استقرار الإنسان في الكهف، استبدل لغة الإشارة اليدوية والملمحية بالإشارات الصوتية. وفي عصرنا الحديث لدينا مثال يشابه هذا الأسلوب، حيث تمكن العلماء الغربيون من تطوير لغة جديدة أصبحت لغة أساسية في الحياة المعاصرة وهي لغة الصم والبكم، وذلك عن طريق إشارات معينة باستخدام أعضاء الجسد خصوصًا اليدين والوجه.

ونجد من المفيد الإشارة إلى أن اللغة (اللغات) تتحول إلى لهجات فرعية بسبب عوامل متعددة، منها السياسي، والنفسي، والجغرافي، والثقافي، والاجتماعي ... إلخ[٢]. فالهيمنة والسيطرة السياسية أو الثقافية لدولة ما مدعاة واضحة إلى انتشار لغتها، مما يؤدي إلى ظهور لهجات جديدة، مثل الإنجليزية التي انبثقت عنها اللهجات الأمريكية والأسترالية والنيوزيلندية ... إلخ.

أما العامل الجغرافي فله الدور ذاته، إذ إن لهجة سكان الجبال تختلف

---

[٢] ونقصد به البيئة الاجتماعية؛ كأن يتربى طفل في بيئة مختلفة عن بيئته عندها سيكتسب منهما لغتهم وعاداتهم ومفاهيمهم، أو مثل استيعاب طير الببغاء للعربية إن كان صاحبه عربي اللغة أو استيعابه للفرنسية إن كان مالكه فرنسيًا .... وهكذا.

عن لهجة سكان المناطق الساحلية أو لهجة أهل المناطق الصحراوية، كما هو واضح على سبيل المثال من اختلاف لهجة أهل نجد في السعودية عن لهجة أهل الحجاز، أو اختلاف لهجات سكان صعيد مصر عن لهجات أهل سواحلها، بل إن الاختلاف يكون واضحًا وبينًا بين أبناء المنطقة الجغرافية الواحدة ... وهكذا.

وبالنسبة لما له علاقة بالعاملين الثقافي والنفسي، أو حتى الاقتصادي، فيعود إلى إحساس المجتمع المتأثر بتخلفه وضعفه الحضاري والثقافي، مما يدفعه إلى استخدام وإدخال ألفاظ ومصطلحات من لغات أخرى، تدفع إلى ظهور لهجات أو لغات مختلفة مثل اللهجات المغاربية (الجزائرية والمغربية والتونسية)، التي تأثرت كثيرًا باللغتين الفرنسية والإسبانية إلى درجة صعوبة فهمها واستيعابها من المتحدثين بالعربية.

ومن الطريف أن اللغات في سيرتها تشابه إلى حد بعيد سيرة الإنسان فهي تمرض مرضًا بسيطًا، أو مزمنًا، وأحيانًا تمر بغيبوبة طويلة جدًا، فعلى سبيل المثال كان الخط العربي يفتقد الإعجام الذي عالجه المسلمون باستخدامه لاحقًا، وهذا العلاج أخذه المسلمون من السريان والأنباط الذين استخدموا الإعجام، ولو أنه نادرًا في كتابة الثانية؛ أما مرضها المزمن فهو منهج قواعدها واستخدامها للتشكيل، فدعا بعضهم إلى كتابة الكلمة العربية كما تنطق، وآخرون يرون ضرورة بقاء هذه القواعد المخالفة للنطق. ومن اللغات التي دخلت مرحلة غيبوبة استمرت فترة طويلة من الزمن اللغة العبرية، فقد دخلت مرحلة الغيبوبة هذه منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد وتحديدًا عند بداية النفي لبابل سنة ٥٨٧ ق. م (كمال، ١٩٧٥م، ص٢٩)، حتى ما قبل قرنين أو ثلاثة من

الآن استمرت في غيبوبتها (أو غرفة الإنعاش) مدة تصل إلى أكثر من ألفي عام، لكن محبيها عملوا على إخراجها من غيبوبتها هذه فأصبحت من اللغات المعترف بها عالميًا، بل أن من المؤسف إن الأبحاث والدراسات العلمية التي تكتب بهذه اللغة يفوق عددها ما كتب باللغة العربية لغة القرآن الكريم، بل حتى ما كتب باللغة الصينية من أبحاث ودراسات.

هذا ما كان بالنسبة للغة، لكن ماذا عن الوجه الآخر للعملة وهي الكتابة، التي يرى البعض أن التعريف الأمثل لها هو اعتبارها الوسيلة الثابتة للتعبير عن الفكرة، لكننا نرى الإشارة إلى أن هذه الميزة التي كان العلماء يرونها في الكتابة وهي ميزة انتقال الكتابة عبر الزمان والمكان قد انتفت حاليًا، فاللغة أيضًا صارت تحمل الميزة ذاتها من خلال الأشرطة التسجيلية؛ فنحن الآن نسمع خطبًا للرؤساء والملوك تعود إلى أكثر من قرن. لذا فاللغة مثل الكتابة تنتقل أيضًا عبر المكان والزمان. المهم أن اختراع الكتابة أنهى إلى الأبد عصر ما قبل التاريخ، فهي الحد الفاصل بين عصور ما قبل التاريخ (أو عصور ما قبل الكتابة التاريخية Pre- Historical Writing) والعصور التاريخية، وهي بمقولة أخرى الماء الذي يروي شجرة الحضارة ويعطي لها الاستمرارية.

وكما تعددت الآراء حول نشأة اللغة، فقد تعددت أيضًا الآراء حول نشأة الكتابة الوجه الآخر للغة. ويمكن حصر هذه الآراء في رأيين: الأول: أن يكون وراء هذه النشأة أمر رباني، والثاني: أن يكون وراءها عامل فلسفي، فالقدماء جعلوا للكتابة أصلاً إلهيًا (ربانيًا)، أو سماويًا غيبيًا، وهذا التفسير يتفق مع أسلوبهم في رد نشأة كل المنجزات الحضارية العظيمة للإنسان إلى أصول إلهية أو سماوية، فقد كان المعبود "تحوت"،

وهو طائر أبو منجل عند المصريين القدماء، مخترع الكتابة، بينما أعاد أهل الرافدين القدماء اختراع الكتابة إلى أحد أولاد المعبود "مردوك (مردوخ)"، وتبعهم في هذا العديد من الشعوب الأخرى مثل الإغريق وغيرهم، لكن لماذا اتجه القدماء إلى التفسير الديني السماوي؟ ورغم أنه يصعب كثيرًا إعطاء الإجابة الصحيحة لهذا السؤال، إلا أننا نعطي أنفسنا الحق بذكر ثلاثة مبررات كانت خلف هذا التفسير:

أولها: أن التفسير الغيبي الديني كان بتأثير منطق الشكر الهادف لغرس قيم دينية تتمثل في شكر المعبودات زيادة في تقديسها؛ لإنعامها عليهم بكل شيء، بدأً من الخلق وانتهاءً بغرس الأخلاق، وباستمرار هذا التمجيد للمعبودات وتسبيحها يأمل الكهنة في استمرار تدفق القرابين والأبخرة والأطياب والأموال لمعابد هذه المعبودات وبالتالي لأيدي الكهنة أنفسهم.

ثانيها: أن هذا التفسير الديني الغيبي كان نتيجة لعجزهم عن وضع تفسير علمي متكامل ومقنع لنشأة الكتابة، ولعل أبرز أسباب هذا العجز هو مرور الكتابة بمراحل طويلة منذ بداياتها البسيطة حتى محاولة تفسير ابتكارها، وهو زمن طويل ضاعت معه الملامح العامة للتطورات التي مرت بها الكتابة. وهكذا كان من الصعب عليهم استيعاب أن يكون شرف اكتشافها للإنسان، نظرًا للغياب التام لمعرفة تطورات الكتابة.

ثالثها: أن هذه المبررات تعود لارتباط الكتابة في العصور القديمة بالطبقتين المهيمنتين في المجتمع، وهما طبقتا الحكام القادة والكهنة، فهذا

الارتباط جعلهم يفرضون عليها ستار القدسية.

أما الرأي الآخر وهو الفلسفي، فلعل أمره يعود إلى الصينيين القدماء الذين كانوا وحدهم من القدماء الذين أوجدوا أسطورة مادية أقرب في عناصرها القصصية التصاقًا بالواقع بقولهم إنهم ابتكروا الكتابة من خربشة الطيور على الرمال، وهم في ذلك يتبعون طريقتهم الفلسفية في الابتكار والتفسير الذي نراه في اكتشاف الحرير، أو اكتشاف شراب نبتة الشاي، فقد أعادوا كل ذلك إلى الملاحظات الدقيقة والمصادفات العجيبة لا إلى السماء أو الوحي؛ في حين ربط الدارسون المحدثون بين نشوء الكتابات الأولى وبين رسائل التسجيل الحسابي، وما تبعها من الحاجة إلى تسجيل الاتفاقيات التجارية والمعاهدات الدولية (Walker, 1987, p.7؛ مونين، ١٩٧٢م، ص٣٤؛ ستيبتشفيتش، ١٩٩٣م، ص١٣؛ دورا، ٢٠٠٥م، ص٢٥).

وفي حين أننا لا نستطيع تحديد الدافع وراء اختراع الإنسان للكتابة، إلا أننا نرى أن هناك فلسفتين أو مبدأين مختلفين كانا وراء نشأة الكتابة واختراعها عند الشعبين العريقين، الرافدي في بلاد الرافدين، والمصري القديم في أرض الكنانة، فبالنسبة للشعب الأول، فإن الأمر الذي أعطاها مبرر الوجود يعود إلى المحور الأساس للأدب والدين والفكر الرافدي، بل هو - في رأينا- الروح الكامنة وراء كل إنجاز لشعوب بلاد الرافدين بما فيه اختراع الكتابة ألا وهي فكرة "الحق"؛ فمن الحق اشتق الرافدي القديم القانون والقضاء والعدالة، وبسببه تعامل الرافدي القديم بالحساب والعدد. فالبحث عن الحق وروح الحساب والعدد هو الفكرة المحورية التي

كان يسعى إليها الرافدي القديم ويتمحور حولها، لذلك أوجد أساليب مختلفة عن رفيقه في درب التطور الحضاري، الشعب المصري القديم، في العديد من مناحي الحياة مثل التعبيرين الفني والمعماري، فضلاً عن الأدبي والإنساني، وبالنسبة للكتابة فإن أغلب النقوش التي تمثل البدايات الأولى للكتابات الرافدية كانت عبارة عن إشارات وكتابات للتعامل ووسائل لحفظ الحق الاقتصادي والتجاري من عقود وتحديد المقادير والأوزان والمقاييس والأنصبة والبيع والشراء، وهذه كلها وسائل لحفظ "الحق".

وقد لا نشطح كثيرًا إن قلنا إن الذي يقف وراء حضارة الرافدين هو فكرة الحق فأفضل ما يحفظ الحق هو العدد والحساب والتحاسب، الذي ينمي روح الرياضيات ويعدّ لنشأة المنطق والقياس؛ لذا لم يكن مستغربًا أن تنشأ في سهول سومر الأختام التي كانت رديف البدايات الأولى للكتابة وأهم عوامل تطورها، فالأختام وجدت تحت تأثير فكرة الحق وحفظ الحقوق، وهذا الذي جعل للرافدي القديم الأسبقية عن غيره من الأمم الأخرى في ابتكار وضع القوانين المكتوبة مثل قوانين أشنونا وغيرها، ولأجل الحق كان أهم معبودات بلاد الرافدين "الإله **ش م س**" معبود العدالة، أي إله حفظ الحقوق، الذي ينمو في رحمه الحساب والعقود، وهو جزء من القانون الذي ينمو في رحم الحق.

ولعل فكرة الحق نشأت وسط هذه الحضارة تحديدًا؛ بسبب الظروف البيئية القاسية التي هددتهم دومًا بالخراب والدمار الناتجين عن الفيضانات المفاجئة والعنيفة، التي تنحدر بشدة نظرًا للأمطار غير المنتظمة على منابع

دجلة والفرات في أرمينيا. فهذه الأوضاع المناخية والفيضانات كانت تهلك الحرث والنسل بصورة غير متوقعة فتؤدي إلى الإفلاس والتدهور الاجتماعي الذي بدوره وَلّدَ الظلم والاستبداد، لهذا عَمِلَ الرافدي على إيجاد الحق من خلال القانون، فقد كان مبرر عبادة هذه المعبودات وتقديسها، فضلاً عن قيامها بخلقه، هي صياغة القوانين، وأن سبب ظهور الملك أو الحاكم إنما كان لحماية القانون، أي الحق، ولنأخذ مثلاً تقديسهم لمردوخ الذي أقام النظام - وهو أحد أهداف القانون- محل الفوضى. وإذا حق لنا أن نذهب بعيدًا في استجلاب الرموز وفي الاستعانة بمفتاح "الحق"، فإننا سنجد أن الخط الإسفيني (المسماري) يعبر عن روح الرافدي القديم لتثبيت وجوده الحضاري المهدد دومًا، فكما كان أجداده من أهل الرعي والانتجاع يثبتون خيامهم بالإسفين فإنهم عدوا الخط، بما يحويه من حسابات وتحاسب وما يكتب به من قوانين ومواد محسوبة، كالإسفين الذي يحمي ويثبت الخيمة البدوية من الأتربة والعواصف، فالخط يحميه بحفظه للحقوق والقوانين.

هذا أحد الأوجه الرمزية من الخط الإسفيني الشكل وارتباطه بروح الحضارة الرافدية القائمة على فكرة الحق؛ وإن التعبير نفسه عن الروح التحاسبية والمحاسبية الاقتصادية نراها أيضًا في شكل الخطوط المسمارية إذا ما عددناها في الأصل تطويرًا لشكل الأسهم والحراب، ولعلك ترى الارتباط بين الكتابة عن الأمور الاقتصادية والأنصبة والغنائم والصيد أو تحصيل الطعام والقوت، وبين الأسهم التي هي أداة للقنص أو الصيد. لهذا نقول، ونحن مطمئنون، إن الفكر الرقمي الحسابي العددي وعلوم الهندسة المرتبط بالحق بدأ من الرافدين، وإن الحساب سبق الكتابة ولو من

ناحية ترتيب الاحتياج في بلاد العراق القديمة.

أما مبرر المصري القديم فينحصر - حسب رأينا- في فكرة الروح والخير والبحث عن المعنى والوصول إلى الحكمة، فالحضارة المصرية هي حضارة الكيف مقابل حضارة الكم الرافدية، وحضارة العمق مقابل الحساب والقياس الرافدية السومرية. فالدارس الحصيف لتاريخ مصر القديم يعرف أن هذه الحضارة التي تتميز بالصبر والتأني وتجسيد المعاني والأفكار الروحية، ليست إلا حضارة رمزية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان، وإن انتحالها للخط الرباني المقدس (الهيروغليفي) لم يكن من باب المصادفة، وإنما لتحقيق وسيلة التعبير بالرمز، فهي حضارة المعنى والنظر دومًا إلى المعاني الرمزية والجوانب غير المرئية، وتنتحل الحكمة والمعنى، وتنحو دومًا للبحث عن العلة في الأحكام إلى الخير الكامن وراء ما تقرره السماء، وما يخفى وراء الخط واللون، حضارة العمق الديني الذي يعبر عن الأعماق من خلال الرموز والإشارات، وفي مصر الكنانة نشأت قصتا يوسف وموسى عليهما السلام، ومن قبلهما أسس إدريس عليه السلام روح العلم والتعليم، وفيها نشأت الرهبنة والصوفية (العمق الديني)، حضارة الإشراق بعد التأمل، ومنها ظهر أفلاطون ومن قبله أخناتون العائش في الحقيقة أو الماعت.

وأجد من الضروري قبل الانتقال إلى موضوع آخر، الإشارة إلى دراسات الباحثة الأمريكية "دنيس شماندت بسرت" (Schmandt- Besserat. D., 1977, pp.1-32; Schmandt- Besserat, 1978, pp.50-9; Schmandt- Besserat, 1979, pp.19-48)، التي أشارت فيها - بذكاء-

إلى أن عمليات التنقيب في معظم مواقع الشرق القديم والعائدة إلى الفترة من الألف التاسع إلى الألف الرابع قبل الميلاد، قد كشفت عن قطع طينية صغيرة بأحجام هندسية مختلفة أسمتها الرموز (Tokens)، وافترضت أن هذه الرموز استعملت سجلات لحفظ ما له علاقة بالأعمال العامة ومنها الشؤون المنزلية، وكانت هذه الرموز تحفظ متفرقة في صناديق أو سلال أو تثقب وتشد بخيط معًا؛ ثم حفظت لاحقًا في كرات طينية مجوفة مغلقة (حنون، ٢٠٠١م، ص١٩)؛ وفي فترة لاحقة أخذ بتسجيل ما في داخل هذه الكرات الطينية على سطحها الخارجي، بحيث أصبحت هذه الكرات ألواحًا كتابية. وقد أثبت هذه الملاحظة الذكية من "شماندت سرت"، الآثاري "ليو اوبنهايم" الذي نشر سنة ١٩٥٩م لوحًا طينيًا بشكل بيضة عُثر عليه في مدينة "نوزي" (يورغان تبه، قرب كركوك)، العائد إلى الألف الثاني قبل الميلاد (Oppenheim, 1959, pp.121- 8)، وبعد كسر اللوح الطيني البيضاوي الشكل تبين أن في داخله ثمان وأربعين حصوة صغيرة، مطابقة لعدد الحيوانات المذكورة في النص السومري. والواقع أن هذه الكرات البيضاوية جاء أغلبها من موقع الوركاء خلال الفترة بين منتصف الألف السابع قبل الميلاد إلى منتصف الألف السادس قبل الميلاد (٦٥٠٠ - ٥٥٠ ق.م) (حنون، ٢٠٠١م، ص٢٧)، وهذا الأمر في تصورنا الشخصي يعطي الأفضلية للشعب السومري في اختراع الكتابة التي انتقلت إلى مناطق العالم القديم.

أدوات الكتابة: تعددت أدوات الكتابة خلال الثلاثة آلاف سنة الماضية، ويبدو لنا - دون تأكيد- أن أول الأدوات المستخدمة للكتابة كان

الحجر، الذي يمتاز عن بقية الأدوات الأخرى بأنه ما زال مستخدمًا حتى يومنا الحاضر في شواهد القبور وأحجار التأسيس. وكانت المواضيع التي تكتب على الحجر فيما بين الأمور الشخصية التذكارية والاتفاقيات السياسية والمعاهدات والقرارات الرسمية. ويلي الحجر، الطين المشوى على شكل ما يعرف حالياً بالرقم الطينية، الذي بدأ استخدامه في جنوب بلاد الرافدين وتحديدًا لدى السومريين. واستخراج الطين الذي يصنع منه الرقم كان يتم بطريقة بسيطة وفعالة جدًا، بأن يقوم الصانع بوضع الطين (المادة الخام)، الذي أخذه من ضفاف نهري دجلة والفرات في إناء مع الماء، ويقوم الماء داخل الإناء بدور هام فهو يصفي المادة الخام من الشوائب؛ فعلى سبيل المثال تسقط الحصى والمواد الثقيلة الأخرى أسفل الإناء، في حين تطفو المواد الخفيفة مثل القش وفتات الخشب وشوائب أخرى. وبعد انتهاء هذه العملية يقوم الصانع بطرح المواد الطافية (التي تطفو على السطح) ويأخذ الطين بعد فصله عن المواد الثقيلة التي سقطت إلى الأسفل، وبهذه الطريقة يتم الحصول على الطين النقي المستعمل لصناعة الرقم. وقد يسأل أحدهم كيف كان الرافدي القديم يحافظ على هذه الرقم الطينية؟ نقول عن طريقين أحدهما: وضع هذه الرقم بعد الكتابة عليها تحت أشعة الشمس حتى تجف، والآخر، وهو يستخدم للرقم الهامة ذات الاستخدام العام، التي تتضمن اتفاقيات تجارية أو سياسية هامة أو أعمال أدبية ومعاجم، فكانت تشوى فتصبح كتابًا مرقومًا محفوظًا من التشوه والتلف.

أما ثالث هذه الوسائط في الأهمية فهو ورق البردي والرق، فالأول يعود استخدامه إلى الأسرة المصرية الأولى، أي في بداية الألف الثالث قبل

الميلاد، مع أن أقدم نموذج من ورق البردي - حسب علمنا- يعود إلى زمن الفرعون "نفرإيركارع"، أحد فراعنة الأسرة الخامسة (ستيبتشفيتش، ١٩٩٣م، ص٣٨). أما الرَّق فجاء استخدامه للكتابة متأخرًا زيادة عن الألف عام وتحديدًا خلال الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ - ١٨٠٠ق. م)، مع أن معرفة الرق عند المصريين تعود إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وتحديدًا إبان فترة الأسرة الرابعة، ولعل أهم ما كُتب على الرَّق هي المخطوطات التي وجدت في كهف قمران والأسفار المقدسة من كهف مجاور لكهف قمران بالقرب من البحر الميت، وجاءت هذه اللفائف من الرق داخل جرة من الفخار (سومر، فيلوتكو، ١٩٩٨م أ؛ سومر فيلوتكو، ١٩٩٨م ب)، كما استخدم السريان الرق كثيرًا (أمان، ١٩٩٠م، ص٢٩).

وكان المصري القديم يهيئ ورق البردي - وهو نبات مصري قديم ينبت على ضفاف النيل- عن طريق شق سيقان نبتته إلى شرائح رقيقة تصف فوق سطح مستوي إلى جانب بعضها، ثم يقوم الصانع بوضع طبقة أخرى من هذه السيقان، ولكن بشكل متعامد مع الطبقة الأولى. ولكي تلتصق هاتان الطبقتان توضعان في ماء لفترة زمنية معينة كي تتفاعل المادة اللاصقة في هذه السيقان ويتم التلاصق؛ وبعد التأكد من حدوث التلاصق يتم وضعها تحت أشعة الشمس لتجف، وهكذا تكون هذه الورقة بعد تهذيب وتشذيب أطرافها صالحة للكتابة (أمان، ١٩٩٠م، ص٢٨)، أو أن يوضع البردي تحت مكبس خاص لضمان إتمام عملية اللصق، ثم تتم صنفرة وجه الورقة ليصبح لها وجه ناعم صالح للكتابة وظهر خشن. والواقع أن استخدام البردي لم يقتصر على المصريين فقط،

فقد عُرف عند العديد من شعوب الشرق الأدنى القديم مثل اليهود الذين استخدموه للكتابة خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وتمثلها النصوص الآرامية التي عُثر عليها في جزيرة الفيلة (الفانتينا) بأسوان. وتقع هذه الجزيرة بالقرب من أسوان قطنتها لفترة من الزمن جالية يهودية؛ وكذلك الفينيقيون الذين كانوا يشترونه من المصريين منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد. أما رابع هذه الأدوات فهو الفخار المخلوط بالحجر المعروف باسم Ostraca. ومن بين هذه الأدوات الأربعة الهامة جاءت مواد أخرى منها المعدن الرخيص، والخشب، والعظام (كما عُرف في الفاو) والكتان، والجلد والخزف، كما في الهند (ستيبتشفيتش، ١٩٩٣م، ص٥٦)، وإضافة إلى الخزف، فقد استعمل الهنود لحاء شجر النخيل والقشرة الرقيقة البيضاء لشجرة البتولا في الكتابة. كما استخدم الإنسان القديم أيضًا الجلود مثل جلد الثعبان، ودرع السلحفاة، والثانية عند الصينيين الذين لجأوا لاحقًا إلى الكتابة على الحرير، وقد استخدم الصينيون أعواد البامبو وهي شرائط طويلة يكتب عليها عموديًا. ولعلنا قبل أن ننهي الحديث حول هذه الفقرة نشير إلى الورق الذي يعود فضل ابتكاره إلى الصينيين، وذلك في بداية القرن الثاني الميلادي، وقد استمرت هذه الصناعة سرية ومحتكرة من قبلهم لمدة تزيد عن الستمائة سنة، حتى عام ٧٥١م عندما تمكن المسلمون من أسر عدد من الصينيين، الذين يجيدون صناعة الورق فتعلم المسلمون منهم هذه الصناعة الفريدة، وبعد مدة زادت على الأربعة عقود أنشيء أول مصنع لصناعة الورق في بغداد سنة ٧٩٣م، ومن ثم انتقلت هذه الصناعة إلى الأندلس بعد مئتي عام من معرفة المسلمين بهذه الصناعة، وذلك في سنة ٩٥٠م؛ وكانت الأندلس

الجسر الذي نقل هذه الصناعة إلى أوروبا، التي أقيم فيها أول مصنع للورق في مدينة صقلية الإيطالية سنة ١١٠٢م.

وقد ارتبطت الكتابة ارتباطًا وثيقًا بالكتبة الذين كانوا يتعلمون هذه المهنة في "المكان الذي يتلقى فيه الإنسان تعليم الكتب"، ويقصد به المدرسة، التي وصفت من المصريين القدماء بـ: "بيت الحياة". وكعادة هذه الحضارة الرمزية التي عَرّفت كتابتها بالكتابة المقدسة كرمت الكاتب تكريمًا جليًا، وأعطته مكانة عالية في المجتمع، فقد وصف مصري قديم الكاتب بقوله: "إنك تسير بحرية في الطريق، ولن تكون ثورًا يقوده الآخرون"، وقال مصري آخر في وصفه للكاتب: "إنك في مقدمة الآخرين كلهم" (ستيبتشفيتش، ١٩٩٣م، ص ص٣٥- ٣٦)[٣]. والطريف أن المصري القديم أقر بالموت للجميع فيما عدا الكاتب بقوله: "تبقى ذكراه تنتقل من فم إلى فم"، قد اتفق معه الشاعر العربي (طيران، ٢٠٠٥م، ص٥٨٤) بقوله:

الخط يبقى زمانًا بعد كاتبه وكاتب الخط تحت الأرض مدفون

ومن إيجابيات الكتابة المرتبطة بالاقتصاد دفع البعض إلى تعلم لغات وكتابات الأقوام الآخرين، فعُرف المترجم والمفسر الذي يعمل إلى جانب

---

(٣) لعلنا نذكر هنا عبارة مؤثرة تعود للكاتب المصري "أني"، في شكره لمآثر والدته، وهو يحكي منظرًا ما زال مألوفًا إلى يومنا الحاضر فيقول: "لقد هدتك إلى المدرسة كما كنت تتلقى علم الكتابة، وكانت تنتظرك في بابها كل يوم ومعها كسرة من الخبز وقليل من الجعة صنعتها بيدها" (مونين، ١٩٧٢م، ص٣٤)؛ وكذلك ما قاله ذلك الأب ينصح ابنه المدعو "بيبا" بأن عليه أن يحب الكتابة كحبه لأمه لأنه لا يوجد ما هو أثمن من الكتاب (ستيبتشفيتش، ١٩٩٣م، ص٣٦).

الدولة دبلوماسيًا أو موظفًا في البلاط الملكي[٤] تناط به مهمة ترجمة ما يصل إلى البلاط من رسائل ملكية، أو غيرها، بل إن الأمر تعدى عمل المترجم في الجهات الرسمية إلى العمل في القطاع الخاص، فها هو أحد كتبة القرن الثاني عشر قبل الميلاد يتباهى بمعرفته وإلمامه بلغة جزيرة كريت بقوله: "إن قلمي قادر على كتابة هذه اللغة" (مونين، ١٩٧٢م، ص٣٤)، وهذا المترجم يعمل في مكتب تجاري يتعامل مع جزيرة كريت. وعلى الرغم - حسب علمنا المتواضع- أننا لا نعرف شيئًا في التراث الرافدي يشير إلى أهمية الكاتب والكتابة، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن عدد الكتبة، على سبيل المثال، في مدينة جريشو، وتحديدًا في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد (٢٣٥٠ ق. م) بلغ نحو الثلاثين كاتبًا، في حين زاد عددهم بشكل واضح في الفترة الواقعة بين ٢١٠٠ - ٢٠٠٠ق. م، بحيث وصل عددهم إلى نحو ١٦٠٠ كاتبٍ؛ والغريب أن هذا العدد تقلص كثيرًا إبان الفترة الأكادية، إذ كانوا في حدود المائة كاتبٍ فقط (شاربان، ٢٠٠٥م، ص٣٨).

---

[٤] الغريب أن وظيفة رئيس التراجمة في البلاط الفرعوني كانت لفترة ما وراثية، حيث يتوارث لقب "رئيس التراجمة" أبًا عن جد (مونين، ١٩٧٢م، ص٣٤).

مراحل تطور الكتابة:

مرت الكتابة بمراحل متعددة حتى وصلت إلى الأبجدية، فكل شيء في الوجود يبدأ من الصفر حتى يصل إلى مرحلة الكمال، وهذه سنة الله في خلقه فالعديد من الآيات القرآنية الكريمة تشير إلى أن الله عز وجل قد قضى أن تبدأ المنجزات صغيرة ثم تنمو شيئًا فشيئًا، والكتابة كذلك. وحتى يسهل على القارئ فهم المقصود نرى أن نقسم هذه المراحل إلى ست، على النحو التالي:

أولاً: مرحلة الرسوم:

يبدو أن الإنسان القديم سواء في بلاد الرافدين، أو مصر، أو نهر الدانوب إن صح أن بدايات الكتابة كانت في الأخيرة[٥]، قد لاحظ من بعد فترة من الزمن أن الرسوم التي قام برسمها قد تحكي قصة أو تعطي فكرة لما يود قوله والإشارة إليه، فاستحسن الرسم لا لمجرد الرسم بحد ذاته، بل ليؤرخ لطقس ديني أو حدث اجتماعي من خلال الرسوم. وهكذا أصبح الرسم أو الرسوم التي تروي قصة من غير أن يكون ثمة علاقة واضحة بينها وبين موضوع شفهي وحيد - كتابة، والمقصود أنها

---

[٥] دلت التنقيبات الحديثة على أن نهر الدانوب قد احتضن في الفترة بين الألفين السادس والرابع قبل الميلاد حضارة ذات شأن، فقد عُثر في عدد من المواقع الأثرية العائدة إلى ما بين ٥٠٠٠- ٣٥٠٠ق.م مثل موقع شمال مدينة صوفيا ببلغاريا، وكذلك صربيا، على تماثيل صغيرة، على ست منها نقوش وعلامات تجريدية (جيشار، ٢٠٠٥م، ص ص١٧- ١٨). لكنني آثرت التريث في أخذ هذه المعلومات القيمة بسبب تشكيك العلماء بنتائج حفريات الآثاري الروماني "فيكولاي فلاسا"، الذي أشار إلى اكتشافه ثلاث لوحات تشبه ما عُثر عليه في مدينة أورك في العراق القديم، فغالبية العلماء المختصين عدوا هذه اللوحات مزورة عن هذه المكتشفات انظر (جيشار، ٢٠٠٥م، ص ص١٧- ٢٠). وفي رأيي أن هذا التزوير غير مستغرب، فقد كانت الأمور خلال الحقبة الشيوعية في هذه البلدان تبحث عن ما يقوي القومية الوطنية المحلية.

قصة يحكيها الرسام (وفي حالتنا هذه الكاتب) للمشاهد تفيد أن المرسوم يقوم بعمل ما مثل رقص ديني كان أو ترفيهي أو صيد له علاقة بالدين أو الترفيه عن النفس. وهذا النوع من الرسوم جاء منتشرًا في معظم أنحاء العالم القديم، ولعل أقدمها الرسوم العائدة إلى الألف الثلاثين (٣٠,٠٠٠) قبل الميلاد، حيث كان الإنسان المعروف باسم أوريجانك (Auriganc) يمارس الكتابة من خلال الأشكال التي رسمها أو حفرها، ومع هذا فإن العلماء الدارسين يرون أن أقدم دليل لاستخدام الرسوم بغرض الكتابة يعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد، وذلك في فترة الإنسان المعروف باسم موستير (Moustier) المتطور (مونين، ١٩٧٢م، ص٢٩). وهذا النوع من الرسوم الرمزية التي تحكي قصة ما زال مستمرًا حتى يومنا الحاضر، فالعديد من اللوحات الفنية تتضمن، إضافة إلى الرمزية الشائعة في مثل هذا النوع من الرسوم، قصة معينة يحكيها، مثل قصة فتح القدس أو سقوط بغداد، أو أي موضوع اجتماعي، أو سياسي، أو ترفيهي.

ثانيًا: مرحلة الكتابة برموز المعاني ورموز الأصوات ومخصصات المعاني والأرقام:

وهي مرحلة متطورة عن المرحلة السابقة تمثلها الكتابات المصرية القديمة، والمسمارية السومرية، والكتابتان الأكادية والحثية التصويريتان؛ وحتى يكون الأمر واضحًا أو على الأقل مفهومًا للقارئ علينا أن نتصور مهندسًا عربيًا ذهب لزيارة بلد لا يتقن لغته ولا يملك وسيلة للتعبير عن ما يراه، فماذا سيعمل؟! لا شك أنه سيقوم باستخدام الرمز الذي يفهم من

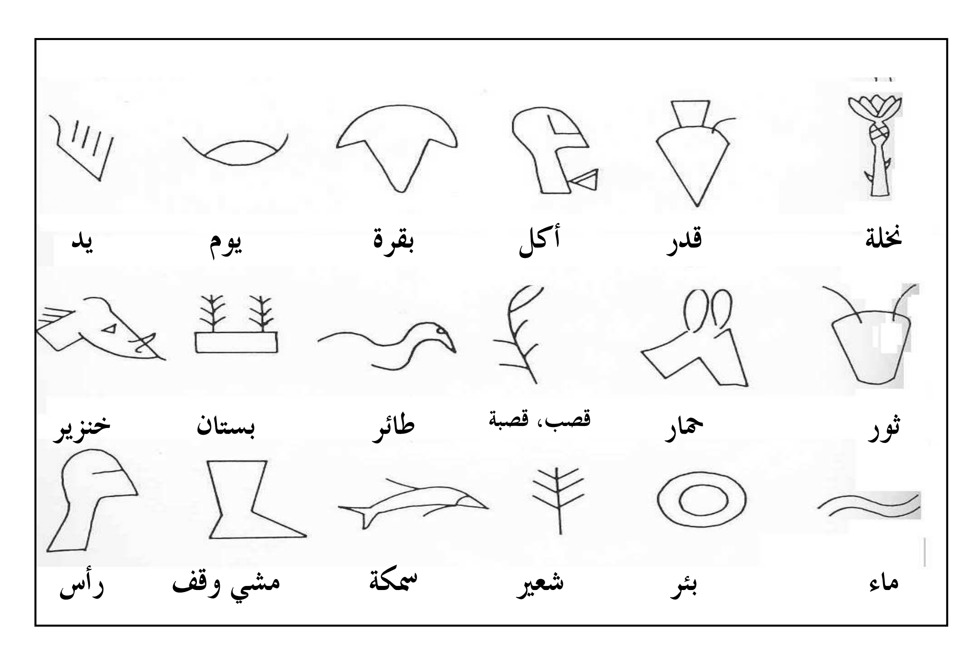
خلاله المعنى بطريقة أقرب لتركيب المعاني والإشارات والرموز التي لا تقرأ ولا تترجم، فميزتها الأساسية أنها لا تكتب أصوات الكلام أو أصوات كلمات لغة صاحب النص الأصلي، نقول إنها لا تترجم وإنما رموز تفك، وقد يجهل المفكر الذي يحل هذه الرموز التصويرية تمامًا الصوت الذي تعبر عنه هذه الرموز والتصاوير، والواقع أن عملية الكتابة الرمزية لها شيفرة وتراكيب عقلية تتطور مع الزمن، وهي قريبة من جميع العمليات العقلية التي تعبر عن الأشياء والمعاني، ففيها من اللغة والمنطق والتعبير الفني والفلسفي وتعابير الرؤى والأحلام أقرب مما فيها من الأبجدية، كما أنه لا يجمعها مع الأبجدية سوى أن كليهما يعبران عن شيء معين وفق نظام متبع. ولتوضيح ذلك علينا أن نعود إلى المهندس العربي، ولندعه "عمر"، الذي - كما سنرى- اتبع خطوات معينة للتعبير عما يريد وصفه أو قوله عبر مراحل تتشابه وتتوافق مع قوانين الكتابة التصويرية الرمزية، فلكي يعبر عن موظفي شركته فما عليه إلا رسم إنسان بصورته المجردة، غير محددة بزي ذكوري، وبهذا فقد عبر عن أمرين مهمين، الأول: حدد الرسم الفكرة في اللغة التخاطبية، والثاني مقام الجنس في التعبير الفلسفي؛ أما إذا رغب توضيح وظيفة هذا الإنسان، فإنه سيضيف قرينة ترافق المهندس مثل الفرجار أو المسطرة، وإذا كان هذا (الإنسان)، يعمل عامل نظافة فما عليه إلا أن يرسم الإنسان ذاته ويضع إلى جانبه مكنسة، وهو ما يمكن لنا تعريفه: التحديد بالقرينة، يجب أن نلاحظ الفرق من حيث درجة العمومية بين اتخاذ الثوب إشارة لجنس الذكور، وبين التحديد الأكثر انحصارًا من حيث الدرجة

برمز الخوذة لجنس الرجال عمومًا والمقاتلين خصوصًا. ولكن لنتصور أن "عمر"، أراد التعبير بصورة أكثر تجسيدًا نحو تحديد جنسية المهندسين العاملين معه فإنه سيضيف صورة تحدد ذلك، نحو الهرم إذا كان المهندس مصري الجنسية أو العمامة البيضاء إذا كان سودانيًا ... إلخ. وهكذا يكون رسم الإنسان مع الفرجار أو المسطرة بمعنى "المهندس"، ورسم إنسان مع الفرجار مع هرم يعني "مهندس مصري". ولنعد مرة أخرى إلى المهندس "عمر"، الذي إن وجد في مرحلة ما أن استمراره بالمنهج السابق يأخذ وقتًا وزمنًا وجهدًا واضحين، فإنه سينتقل إلى مرحلة أكثر تطورًا - تمامًا كما فعل الإنسان القديم- وهي طريقة الاختزال بحيث يقوم بهيكلة الرمز إلى تحديد أبرز ما فيه، مثل أن يرسم الشماغ أو العقال للتعبير عن الرجل، والطاقية للتعبير عن الفتى أو الفتيان، ونسميها الطريقة الاختزالية المحددة، لأنها تختزل الصورة كلها وتحددها في شيء واحد فقط؛ وفي صورة أخرى يرمز بصورة واحدة عن أكثر من معنى بتحديد وفق السياق فالسهم على سبيل المثال يعبر في سياقه الخاص، وهو القرينة التي ترسم معه عن المحارب والمقاتل، وفي قرينة أخرى عن الحرب؛ وهكذا يستخدم الرمز التصويري ليعبر عن أكثر من فكرة وأكثر من معنى، ويتم تداوله بواسطة أكثر من طريقة بمعنى أن أسلوب الاستعارة والتورية كانت معروفة عند الأقدمين. وبعد هذا التمهيد الذي أرجو أن أكون قد وفقتُ فيه علينا أن نتحدث - ولو باختصار- عن فقرات هذه المرحلة.

١ – رمز المعنى:

هو الرمز الذي يقصد به معنى وحيد لعرض شفهي هو الشيء المصور المرسوم نفسه أو شيء آخر متصل به، مثل رمز الشمس، وهو عبارة عن دائرة داخلها نقطة، يعني في المصرية "الشمس"، إذا قصد به الشيء نفسه؛ لكن إن قصد به شيء متصل به كان معناه "يوم، نهار، يضيء، يشرق". أو كما فعل السومريون القدماء فصورة المحراث لتعني المحراث نفسه، ولكن إن قصد به شيء آخر متصل به فهو يعني "الحراثة، حَرَثَ، يحرث".

هكذا كانت الأمور في البداية؛ فالرسم يمثل الشيء المرسوم نفسه (ذاته)، فمثلاً رسم البقرة يمثل البقرة وكذلك رسما اليد أو الفم ... إلخ (انظر الشكل رقم ١)، لكن مقتضيات الاتصال والتواصل بين الناس جعلت الرسم يتحول في معناه الحقيقي إلى معنى رمزي، وحينئذ، على سبيل المثال، يفيد رسم العصا، الذي كان يعني "العصا"، معنى "الضرب، العقاب"، ورسم الهلال أو القمر يعني "الشهر" أيضًا، واليد تفيد "الحماية"، وهكذا، ولتقريب أكثر نأخذ أمثلة عن الرمز والمعنى المتصل به، فمثلاً في الإشارات المرورية اللونان الأحمر والأخضر يعنيان "قف"، و "سِرْ" على التوالي، وكذلك الرموز والعلامات المستخدمة لممنوع الوقوف، أو ممنوع المرور، أو طريق ذي اتجاه واحد، أو موقف للمعاقين، وكذلك الرسوم الدالة على أصحاب المهن والتي يعرفها الجميع في يومنا الحاضر.

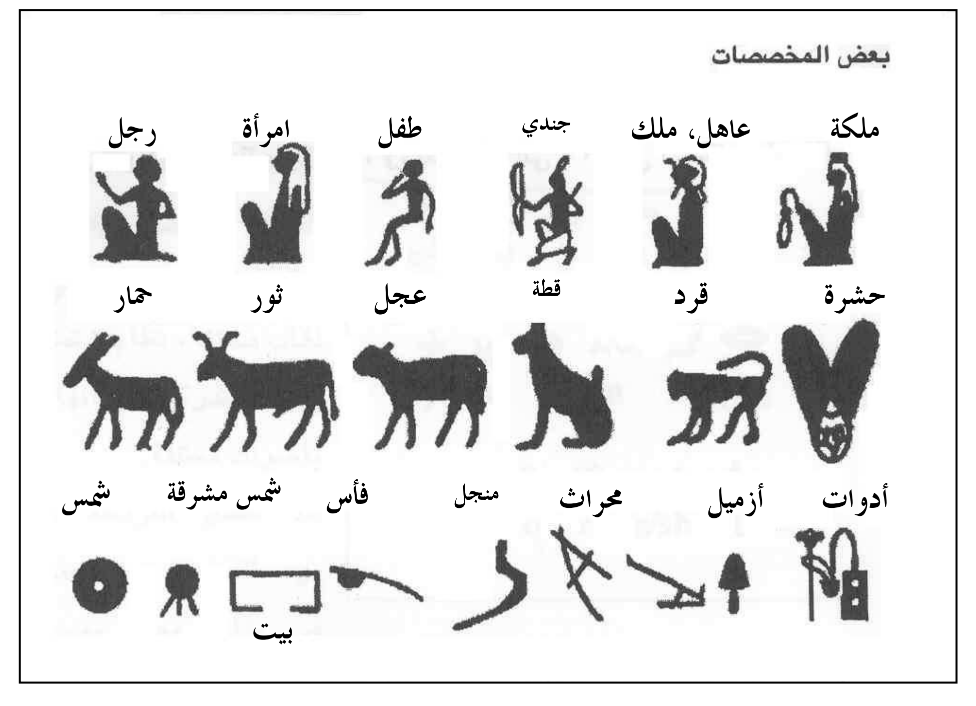


الشكل رقم (١)
رموز من الكتابة السومرية تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد
(نقلاً عن Robinson, 1995, p.50)

٢ – رمز الصوت، ومخصص المعنى:

رمز الصوت هو رمز يلائم صوتًا جزئيًا من أصوات التخاطب، ويقصد به صوته لا معناه، ونادرًا ما يستخدم لكتابة كلمة كاملة، لأن العادة فيه أن يكتب به جزء من كلمة. أما مخصص المعنى، فهو عبارة عن صورة أو شكل يوضح الكلمة المكتوبة ومبرر استخدام رمز الصوت يعود إلى أن كلمات كثيرة معنوية وغير مادية لا تُرى ولا تُسمع ولا تلمس،

كما لا يمكن التعبير عنها برمز واحد، ويُتعرف عليها به من رسمه، لذلك استعين بأصوات بعض الرموز التي تُعْرَفُ أصواتها، ولتوضيح ذلك نقول: الفعل الذي يعني "خَرَجَ" في المصرية القديمة صوته "بري"، ولكتابته استعان المصري القديم برمز المعنى، وصوته "بر" أي "منزل، بيت، معبد"، لموافقته لهذا الفعل في جزء من صوته، وهو "بر"، الذي يعتبر في هذه الحالة رمز صوت ذي صوتين لا رمز معنى، ثم جيء بالحرف الهجائي الراء بعده، وأضيف إليها حرف المد الياء، وهكذا أصبح لدينا كلمة من رموز ثلاثة هي "بري"، ولكي يحدد المعنى المقصود وهو مشى أو المشي أضاف رِجْلَيْن متجهتين إلى جهة اليمين، وهاتان الرِّجلان وظيفتهما هنا مخصص المعنى ولا ينطق، فمهمتهما تقريب المعنى للقارئ.



الشكل رقم (٢)

(نقلاً عن برجرين، ٢٠٠٥م، ص٥)

ثالثاً: مرحلة الكتابة المقطعية:

وهي المرحلة التي تمثلها اللهجتان البابلية والأشورية في طورهما الثاني، وهاتان الكتابتان استخدمتا الخط (القلم) المسماري، وقد ظهرت هذه المرحلة بعد أن أخذوا يهتمون بأصوات العلامات المسمارية دون معانيها التي تعبر عنها الصور في الأصل، ليكتبوا كلماتهم بواسطة الأصوات، بمعنى آخر أنها جعلت من المسمارية صوتية بحتة، تكتب برموز الأصوات وبطريقة مقطعية، ومن ميزاتها خلوها من رموز المعاني إلا ما ندر، وخلوها تمامًا من مخصصات المعاني. والمقطعية هي في الواقع تطور يحسب للبابليين والأشوريين رغم وجود أدلة على أن السومريين قد استخدموا هذا الأسلوب في أمثلة جاءت من موقع مدينة أور (حنون، ٢٠٠١م، ص٢٥)، لكن هذا الاستخدام كان على نطاق متواضع، وتعتمد الكتابة المقطعية على حسٍّ لغوي صحيح، فهو يميز المقطع في الكلمة وينزعه منها، ويقطع الكلمة ويفصلها إلى مقاطع في حال احتوائها على أكثر من مقطع؛ ولكي نوضح المقصود فلنأخذ مثالاً من أسماء الأعلام العربية مثل "حضرموت" و "عبدالرحمن"، فهما علمان يتكونان من مقطعين، الأولى من الفعل "حَضَرَ" والاسم المفرد "موت"، والثانية من "عبد" أي "عَبْد، خادم" المتبوع بالرحمن.

رابعًا: مرحلة الكتابة شبه المقطعية:

وتمثلها كتابة جُبيل بلبنان التي عُرفت عند اليونانيين باسم بيبلوس أي "الورقة" (دبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٣٤٩). ويعود فضل فك رموز هذه الكتابة إلى الفرنسي "إدوارد دروم"، الذي شارك بنجاح في فك رموز

الكتابة الأوجاريتية (انظر أدناه)؛ وقد خدمه الحظ إذ إنه كان في عام ١٩٤٥م يقيم بالقرب من جبيل عندما عثر المنقبون على مسلتين حجريتين، ولوحين برونزيين وفؤوس وشظايا حجر (هبو، ١٩٨٤م، ص٦٧)، جاء عليها رموز تُعرف للمرة الأولى. والغريب أنه لم يمض عام واحد على استلام الفرنسي "دروم" لهذه النقوش حتى تمكن من قراءتها بنجاح نظرًا لافتراضه منذ البداية اعتبارها لغة سامية، وقد أرسل نتائج دراساته لهذه النقوش في عام ١٩٤٦م، وهكذا تبين أن علاماتها تتراوح بين التسعين والمائة علامة (عبدالله، ١٩٨٦م، ص١٦٥)، وقيل سبعين علامة إذا لم نحسب الأشكال المختلفة للرمز الواحد (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٣٥٢).

وهذا العدد من الرموز رقم كبير جدًا بالنسبة للأبجدية؛ ولهذا لم يعتبرها الدارسون كتابة تصويرية برموز معان وأصوات ومخصصات معان؛ فالكتابة التصويرية تحتوي على المئات من الرموز والعلامات؛ وفضلاً عن السبب المذكور أعلاه؛ فإن عدم اشتمالها على المقطع بنوعيه، المقطع البادئ والمنتهي بالحرف الساكن، والمقطع البادئ بالحرف المتحرك والمنتهي بالحرف الساكن، واقتصارها فقط على المقطع المفتوح، منع الدارسين من اعتبارها كتابة مقطعية. والواقع أن كل رمز منها عبارة عن مقطع واحد فقط مفتوح ممدود إمّا بالألف أو الياء أو الواو. وهي كتابة صوتية تامة ولكنها بالمقاطع المفتوحة فقط. وهي كما يقول، عبدالله، ١٩٨٦م، ص١٦٦: خطوة إلى الأمام متفوقة بذلك على الكتابتين المقطعيتين الكاملتين البابلية والأشورية، لاستغنائها عن المقطع المقفول بنوعيه، وأنها أقل تقدمًا نحو الأبجدية. وقبل أن نختتم حديثنا

المختصر عن هذه الكتابة علينا الإشارة إلى أن فترتها الزمنية تعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد وتحديدًا ما بين ١٩٠٠- ١٧٠٠ق.م.

خامسًا: مرحلة الكتابة الأبجدية:

وتشمل كل أبجديات العالم القديمة والحديثة، وتمتاز عن الكتابات السابقة بأن كل رمز منها يمثل صوتًا واحدًا منفردًا، وبخلوها من الحروف المتحركة، فيما عدا الأبجدية اليونانية (بخصوص الأبجدية انظر الفصل الثالث).

سادسًا: مرحلة الكتابه شبه الأبجدية:

وتمثلها كتابتان هما الإخمينية الفارسية، والمروية (انظر أدناه)، وقبل أن نتحدث، بشكل مختصر عن الإخمينية، علينا الإشارة إلى أن العيلاميين الذين سكنوا جنوب غربي إيران الحالية استخدموا كتابة عُرفت بالكتابة العيلامية البدائية (المبكرة)، قبل استخدامهم للخط المسماري (السومري، والأكادي) لكتابة وثائقهم. وهذه الكتابة العيلامية المبكرة جاءت على نوعين، الأول: اعتمد على الشكل التصويري، ويعود تاريخيًا إلى بداية الألف الثالث قبل الميلاد (٢٨٠٠ ق.م)، وقد عُثر على رقمه الطينية قُرب مدينة سوسة عاصمة عيلام القديمة (هبو، ١٩٨٤م، ص٦٦). أما الثاني فقد كان مقطعيا صوتيًا يعتمد على ستين رمزًا (هبو، ١٩٨٤م، ص٦٦). ولنعد الآن إلى الكتابات الإخمينية فهي مسمارية الرموز، تعود إلى ما بين القرنين السادس والثاني قبل الميلاد (عبدالله، ١٩٨٦م، ص١٦٨)، وهذه الكتابة التي تتكون من واحد وأربعين رمزًا، منها أربعة رموز معانٍ، ورمز واحد فاصل بين الكلمات، أما بقية الرموز

وعددها ستة وثلاثون رمزًا فهي رموز أصوات يرى، عبدالله، ١٩٨٦م، ص ص١٦٨- ١٦٩، أن رموز معانيها شاذة، لأن هذه الرموز جاءت في كتابة صوتية شبه أبجدية، لذا - كما يقول عبدالله- فليست هذه الرموز إلا بقايا المحاولات الأولى للكتابة أو أنها رواسب من الكتابتين المسماريتين البابلية والأشورية.

ولعل معرفتنا بهذه الكتابة تعود إلى القرن السادس عشر الميلادي عندما أشار عدد من الرحالة الأوربيين إلى المواقع الأثرية والكتابات التي سطرت على أعمدتها أو واجهاتها هذه النقوش، لكن المحاولة الأولى لقراءة رموزها تعود إلى الإيطالي "بيترو وديلافالي"، الذي قرأ خمسة من رموزها من اليمين إلى اليسار، ثم جاء الرحالة المشهور "كارستن نيبور" الذي يعود إليه الفضل بتحديد قراءتها من اليسار إلى اليمين، وأنها تتضمن واحدًا وأربعين رمزًا (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص١٤٩). ولكن المحاولات الجادة والناجحة تعود إلى باحثين متميزين الأول هو "غيورغ فريدريك غروتينفيند" الذي انهمك في هذه المهمة - يا للطرافة!- بسبب رهان كان بينه وبين عدد من أصدقائه، وقد تمكن هذا المغامر من الكشف عن العديد من خصائص هذه اللغة. أما أمر كشف الغموض كاملاً عن هذه الكتابة فقد جاء من قبل الإنجليزي المشهور "رولنسون" بعد حوالي ستة عقود من محاولات غروتينفيند، وتحديدًا سنة ١٨٣٨م، عندما قدم هذا الإنجليزي تقريره النهائي للجمعية الأسيوية الملكية. وهكذا وبعد أكثر من الفين وخمس مائة من السنين، تحقق كما يقول دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص١٨٢، ما أوصى به الإمبراطور داريوس الذي قال في أحد نصوصه:

أنت يا من في مستقبل الأيام

ترى هذه الكلمات

التي أمرتُ بنقشها في الصخرة

أو إلى هذه الصور

لا تدمرها

بل صنها

ما دام ذلك في استطاعتك

والكتابة الثانية التي اعتبرت شبه أبجدية فهي المروية، وسميت كذلك نسبة إلى مدينة مروي، التي اتخذت عاصمة لمملكة كوش في حدود القرن السادس قبل الميلاد (البنا، ٢٠٠٣م، ص٦٥)، وفي حين يعتبر، عبدالله، ١٩٨٦م، ص٢٧، أن اللغة المروية كانت مستخدمة منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وهذا يعني أنها كانت أيضًا لغة النبتيين الذين كانت لهم الهيمنة السياسية آنذاك، إلا إنه اعتبر الكتابة المروية كانت مستخدمة فيما بين الكتابة المروية إلى القرن الرابع قبل الميلاد، حتى القرن الثاني الميلادي.

وعند اكتشاف هذه الكتابة بدأ عدد من العلماء والدارسين محاولاتهم في فك رموزها، لعل أبرزهم العالم المعروف "سايس"، لكن محاولاتهم لم يكتب لها النجاح إلا في العقد الأول من القرن العشرين الميلادي على يد "فرانسيس خلولن قريفت"، الذي تناول بالدراسة والتمحيص النقوش المروية المكتوبة بالخطين المرويين الهيروغليفي المتأثر بالكتابة المصرية القديمة، والمختزل، والخط الثاني هو الذي حاول

"سايس" فك رموزه وغموضه لكنه لم يوفق. وبعد نجاح "قريفت" في فك هذه الرموز توالت الدراسات المختلفة عن هذه الكتابة، فتبين أنها، كما قلنا أعلاه، تتكون من خطين الأول الهيروغليفي (المقدس)، الذي كان متأثرًا بالخط الرباني (الهيروغليفي) المصري، والآخر المختزل، والذي تطور عن الهيراطيقية المتأخرة والديموطيقية المبكرة، وأن الخط الأول الرباني (الهيروغليفي) يكتب مثل المصرية، إما من اليمين إلى اليسار أو العكس، وقد تكون كتابته عمودية وأفقية (عبدالله، ١٩٨٦م، ص٨٩). أما الخط المختزل فهو يكتب دائمًا من اليمين إلى اليسار، ومما يجدر قوله إن المروية لغة أفريقية، تخلو تمامًا من أي سمات سامية أو هندو - أوروبية (عبدالله، ١٩٨٦م، ص٣٦).

الفصل الثاني

الكتابات التصويرية والمقطعية

أولاً: السومرية المسمارية

ثانيًا: الأكادية المسمارية ولهجاتها

ثالثاً: الكتابات المصرية القديمة

رابعًا: الكتابات الحثية

أولاً : السومرية المسمارية :

عُرفت الكتابة المسمارية عند البعض باسم الكتابة الأشكوزية نسبة إلى الأقوام المعروفين بالطورانيين، وأصلهم من المناطق الشمالية من البحر الأسود، لكن الدراسات الحديثة والغالب من العلماء والدارسين تبنوا تسميتها بالكتابة المسمارية نسبة إلى كلمة لاتينية تعني المسمار أو الإسفين (دورا، ٢٠٠٥م، ص٢١)، أما لغتها فهي اللغة السومرية لغة الشعب، الذي برزت حضارته في جنوب بلاد الرافدين، وأول من أطلق عليها الاسم المتداول حاليًا السومرية هو العالم "يوليوس أوّبرت" سنة ١٨٦٩م، معتمدًا على ما جاء في اللقب الملكي الذي استخدمه الملوك آنذاك، وهو ملك بلاد سومر وأكاد (باقر، ١٩٨٦م، ص ١٢٧). ولعل أقدم الوثائق التي كتبت بالرموز المسمارية السومرية هي وثائق الوركاء وجمدة نصر. وفي الفترة الواقعة بين منتصف الألف الرابع قبل الميلاد إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد (٣٥٠٠- ٢٥٠٠ ق.م)، بدأت هذه الكتابة تتجه إلى المسمارية. وكان هذا التطور واضحًا وجليًا على الألواح (الرقم) الطينية، بينما ظلت التصويرية إلى قدر كبير واضحة على المعادن والأحجار. وهكذا استمر الخط المسماري لمدة تزيد على الثلاثة آلاف سنة، إذْ إن استخدامه استمر حتى منتصف القرن الأول الميلادي (جيشار، ٢٠٠٥م، ص٣٣).

وإعجاب البشرية بالإنجاز الحضاري المتميز لهذا الشعب السومري غير معروف الأصل لاختراعه الكتابة لا يوازيه في تصوري الشخصي إلا جهود العلماء الغربيين في محاولاتهم المضنية والشاقة للكشف عن غموض

رموزها، بمعنى آخر فك حروفها وتفسيرها، الأمر الذي أتاح لنا جميعًا زيادة معرفتنا عن حضارات وإنجازات تلك الشعوب التي جعلت من المستقبل أملاً مشرقًا. لهذا أجد نفسي، قبل الاسترسال، مضطرًا إلى إعطاء نبذة مختصرة عن جهودهم الرائعة التي نقدرها لهم باسم الإنسانية. وأول الاهتمامات المباشرة بهذه الكتابة لعلها الأطروحة التي تنسب للعالم الإغريقي "ديموقرتيس الأبديري" (٤٠٠- ٣٧٠ ق.م)، والتي كانت عن البابلية (جيشار، ٢٠٠٥م أ، ص٣٣)، وبعد أطروحة هذا العالم الأغريقي سواء كان ذلك صحيحًا أم لا، فإن الاهتمام بهذه الكتابة ظل معدومًا، حتى حدود القرن السابع عشر الميلادي، بسبب التنافس البريطاني الفرنسي الذي كان على أشده، ولم يكن هذا التنافس المعروف للقاصي والداني مقتصرًا على الهيمنة السياسية والاقتصادية للعالم الجديد والقديم، لكنه في موضوعنا هذا تنافس إنساني نبيل، هدف إلى كشف الغموض عن رموز ورسوم كتابية مصدرها بلاد الرافدين؛ وذلك بعد أن جزم أول أوروبي بوجود كتابة حقيقية على الأسطوانات الطينية وقطع الآجر والحجارة السوداء، وهو الكاهن الفرنسي "بيشماش"، الذي بعث بقطعة قرميدية إلى صديقه الكاهن "بارتيليمي" في باريس (دوبلهوفر، ١٩٨٣م،

ص١٩٤). وكانت الحكومة الفرنسية، قبل هذا الحدث، قد تبنت اقتراح الباحث "يوليوس مول"، بتعيين الطبيب "بول إيميل بوت" نائب قنصل في الموصل تناط به مهمة وحيدة فقط، هي جمع المخطوطات والمواد الأثرية لصالح فرنسا. وفي المقابل لم يكتف البريطانيون بالمراقبة وانتظار ما ستؤول

إليه جهود الفرنسيين، فسرعان ما أصدر سفير بريطانيا لدى الباب العالي (استانبول) آنذاك قرارًا بدعم البريطاني "هنري أوستين ليارد"، والذي نجح بسبب هذا الدعم في تحقيق كشف إنساني كبير بعثوره على مدينة نمرود المشهورة، وهكذا كانت البداية في هذا التنافس الإنساني النبيل لصالح البريطانيين. المهم أن الطرفين البريطاني والفرنسي استمرا بإرسال المعثورات واللقى الأثرية، يهمنا منها النقوش والكتابات، لكن صعوبة فهمها وغموضها وقفت حائلاً دون التقدم في استيعابها، إلى درجة أن العالم البريطاني "رولنسون"، الذي ارتبط اسمه بالكتابات المسمارية (جيشار، ٢٠٠٥م أ، ص٣٣)، فكر مرارًا ترك العمل على فك غموض هذه الرموز. وفي أثناء هذا الموقف الصعب جاء الفرج على يد أوروبي آخر لا علاقة له لا بالفرنسيين ولا بالبريطانيين، وهو السويدي "ليفينستيرني"، الذي نجح سنة ١٨٤٦م خلال دراسته مدونة "كسيركس"، من ملاحظة أن كلمتي **م ل ك**، و **ب ن** متطابقتان في النصين المسماريين الفارسي والسومري (البابلي)، مما يعني أنها حروف ساكنة (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص١٩٧). وحال وصول هذه النتائج التي توصل إليها "ليفينستيرني" إلى العالم البريطاني الفذ "رولنسون"، قرر دراسة اللغتين العبرية والسريانية لمعرفته أن اللغات السامية هي التي تستخدم السواكن؛ المهم أن "رولنسون" قدم بعد ثلاث سنوات من ملاحظة ذلك السويدي، استنتاجاته إلى الجمعية الأسيوية الملكية في لندن، التي افترض فيها نجاحه في تحديد ثمانين اسم علم لأشخاص، ومائة وخمسين معنًى لفظيًا، وما يقارب خمسمائة كلمة بابلية. ورغم هذا التقدم المهم إلا أن هذا التقرير

لقي انتقادات واضحة ؛ لأن المعاني اللفظية التي تم استنباطها من أسماء الأعلام لم تنطبق على مفردات أخرى، لكن الأمور كانت تسير إلى الأمام، ففي أثناء تلقي "رولنسون" هذه الانتقادات التي جعلته محبطًا وبائسًا، كان الراهب الأيرلندي "إدوارد هينكس"، الذي لم يزر في حياته موقعًا أثريًا، يكشف نتائج دراساته وأبحاثه التي استمرت لحوالي أربع سنوات (١٨٤٦م- ١٨٥٠م)[٦]، عن حقيقة أن هذه النوعية من الكتابات لا تعبر عن حروف مستقلة بل هي رموز مقطعية، ولديها خاصة معينة، فالرمز نفسه يستخدم كرمز مقطعي ومحدد (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص١٩٩). وعلى أساس هذا المفهوم جاءت الدراسات والأبحاث، لعل من أهمها دراسات "بوتا"، الذي قال إن الكلمة الواحدة يمكن أن تكتب على صورة "أيديوجراما" أو بواسطة مجموعة من الرموز المقطعية، إضافة إلى دراسات عراب الكتابات المسمارية "رولنسون"، الذي قال بعد عام واحد فقط من استنتاجات الأيرلندي "هينكس،" وتحديدًا سنة ١٨٥١م، أن الرمز المقطعي الواحد يمكن أن يكون له عدة ألفاظ. وبهذه النتائج المذهلة والمشجعة رأت الجمعية الأسيوية الملكية البريطانية الموافقة على اقتراح عالم الرياضيات البريطاني، ومخترع تصوير تالبوت، "ويليم هنري تالبوت" (١٨٠٠- ١٨٧٧م)، الذي كان يشغل أوقات فراغه بمحاولة فك الرموز القديمة، بإرسال نص مسماري إلى مجموعة من العلماء

---

[٦] الجدير أن هينكس هو أحد المهتمين بدراسة الرموز المصرية القديمة وفكها. لسيرة حياته وجهوده في دراسات النقوش القديمة المختلفة انظر (Cathcart, 1994, pp.1- 99; Daniels, 1994, pp.30- 57).

المختصين بعلم الآشوريات (المسماريات)، ليقوم كل واحد منهم على حدة بدراسة ذلك النص المسماري وترجمته؛ وهكذا وقع اختيار الجمعية على ثلاثة من متحدثي اللغة الإنجليزية وهم "رولنسون" و "هينكس" وصاحب الاقتراح "تالبوت"، إضافة إلى الألماني "يوليوس اوّبرت" (١٨٢٥- ١٩٠٥م)، فأرسلت إلى كل منهم مظروفًا به نقش مكتشف حديثًا مدون على ثلاثة أسطوانات طينية مشوية، لم يسبق أن اطلعوا عليها من قبل. وبعد أن أعيدت ترجمات هؤلاء الأربعة داخل مظاريف مختومة أعلنت لجنة التحكيم في جلسة عامة للجميع أن علم الآشوريات (المسماريات) أصبح يقف على أساس متين[٧]، ومنذ ذلك الحين جاءت الأبحاث والدراسات التي تكشف من وقت إلى آخر عن حضارات عريقة سادت ثم بادت في بلاد الرافدين، وتأكد لاحقًا افتراض الراهب الأيرلندي "هينكس" وباحث الرياضيات "اوّبرت" من أن مصدر الكتابة المسمارية هو الشعب السومري.

وبعد هذه الجهود الجليلة والناجحة التي قام بها هؤلاء العلماء الرواد للكشف عن غموض هذه اللغة والكتابة، تبعتها دراسات وأبحاث للعشرات، إن لم يكن المئات من العلماء والدارسين في مختلف أنحاء العالم، تبين من خلالها أن هذه الكتابة المسمارية التي يعود الفضل في اختراعها إلى الشعب السومري، كانت تصويرية في بداياتها، بحيث تعبر

---

[٧] تجدر الإشارة إلى أن ترجمتي "رولنسون" و "هينكس" كانتا أكثر تطابقًا، في حين كانت الدراستان الأخريان مختلفتين بعض الشيء، فدراسة "تالبوت" لم تخل من أخطاء في الترجمة، أما دراسة "اوّبرت" فتضمنت آراء مثيرة للجدل (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٢٠٨).

عن الأشياء بصور تعكس شكلها الحقيقي. وتطور الأمر لاحقًا إلى أن حلت الرسوم التي أخذت بالابتعاد التدريجي عن الصورة فأخذت أشكالاً بسيطة لا علاقة لها بالصورة المتقنة (انظر الشكل رقم ٥)؛ والواقع أن الفضل في نمو معرفتنا بالكتابة المسمارية- بعد جهود العلماء السابقة- يعود إلى المنقبين الأثريين الذين كشفوا لنا خلال القرنين الماضيين، آلاف من الرقم الطينية. فقد تزايدت معرفتنا عن أمرين: اللغة والكتابة المسماريتين، بحيث رأى علماء الآشوريات (المسماريات) أن اللغة السومرية، نظرًا لفترتها الطويلة التي تصل إلى الثلاثة آلاف سنة، يمكن تقسيمها إلى عصرين رئيسين (Falkenstein, 1959, pp.15-7؛ رشيد، ١٩٧٢م، ص ص٢٨- ٣٠؛ حنون، ٢٠٠١م، ص ص٨٥- ٨٨)، هما لهجات العصر السومري، الذي ينقسم إلى ثلاث لهجات[٨]، والعصر المعروف باسم: لهجة ما بعد العصر السومري، وينقسم إلى لهجتين هما:

- لهجات العصر السومري:

١ - اللجهة الأركانية:

وهي لهجة استمرت على الأقل أربعمائة عام، وذلك من بداية الألف الثالث قبل الميلاد إلى أواخر النصف الأول من الألف الثالث قبل

---

[٨] يعتبر الدارسون أن هذا العصر يتضمن أربع مراحل، ثلاث منها مراحل الاحتلال المذكورة أعلاه، أما الرابعة فهي المرحلة المسماة من قبلهم هكذا: المرحلة السرجونية وفترة الاحتلال الكوتي (٢٣٥٠-
٢٤١٠م)، لكننا لا نرى اعتبارها مرحلة، إذْ أنَّ نصوص هذه المرحلة كتبت باللهجة الأكادية، لا بالسومرية هذا أولاً، وثانيًا لم يعثر على نقوش سومرية تعود إلى فترة الاحتلال الكوتي (الكاشي).

الميلاد (٣٠٠٠- ٢٦٠٠ق. م). وقد اقتصرت كتابات هذه اللهجة على النصوص الاقتصادية ، التي عُثر عليها في خمس مواقع ، هي : الوركاء ، وجمدة نصر ، وتل العقير، وأور ، وتل فارة (موقع مدينة شروباك القديمة).



الشكل رقم (٣)
لوحة مؤرخة للألف الرابع قبل الميلاد
(نقلاً عن دورا، ٢٠٠٥م، ص٢٢)

٢ – اللهجة السومرية القديمة:

وهي لهجة استمرت لفترة أقصر من المرحلة السابقة ، فقد كانت متداولة لمدة تصل إلى مائتين وخمسين سنة فقط (٢٦٠٠- ٢٣٥٠ق. م)، ومثل اللهجة السابقة غلب على نصوصها أنها اقتصادية المضمون ، فيما عدا عددًا من النصوص التي عُرفت بالنصوص الملكية.

أما المواقع التي عُثر فيها على نصوص هذه اللهجة فهي أربع مواقع، هي المدن: لكش (لاجاش)، ونفر، وأور، وأدب (تلول بسماية الحالية)، والملاحظ أن غالبية هذه النصوص جاء من المدينة الأولى.

٣ – اللهجة السومرية الحديثة:

جاءت هذه اللهجة بعد انقطاع دام لأكثر من قرنين من الزمن، كانت الهيمنة السياسية فيها على بلاد الرافدين أولاً للإمبراطورية الأكادية ولاحقًا جاء الاحتلال الكوتي (الكاشي) لمنطقة سومر. لهذا كانت بداياتها من فترة أور الثالثة، وتحديدًا من أواخر الألف الثالث قبل الميلاد (٢١٤٠ ق. م)، حتى آواخر الربع الأول الألف الثاني قبل الميلاد (١٨٥٠ق. م)[٩]. ويعود إلى هذه الفترة الكثير من النصوص الأدبية المستنسخة؛ وفضلاً عن الكم الكبير من النصوص المستنسخة، فإن الفترة المعروفة بفترة سلالة أور الثالثة (٢٤١٠- ٢٠٢٠ق. م)، أمدتنا بنصوص سومرية بينها أعداد لا تحصى من النصوص الاقتصادية، التي عُثر عليها في أور، ولا جاش، وأوماودريهم (بزرش دكان قديمًا)، وكذلك نصوص قضائية. وقد يكون أبرز معثورات مرحلة أور الثالثة كتابات أمير لاجاش المدعو "كوديا"، التي جاءت على أسطوانات دينية. أما الفترة الأولى من الألف الثاني قبل الميلاد فتعود إليها أولى النصوص المعجمية التي تضمنت قوائم بالمفردات

---

(٩) يجدر بنا الإشارة إلى أننا قد دمجنا ما اعتبره الدارسون (Falkenstein, 1959, pp.15- 7، رشيد، ١٩٧٢م، ص٣٠، حنون، ٢٠٠١م، ص٨٧)، مرحلة أخرى أسموها "مرحلة العصر البابلي القديم المبكر"، وهي عندهم المرحلة الأولى من العصر الثاني، عصر ما بعد السومري بهذه المرحلة، لأن الدراسات الحديثة للنصوص السومرية الواقعة في الفترة من ٢١٤٠ق.م إلى ١٨٥٠ق.م، أثبتت عدم وجود اختلاف واضح يدفعنا إلى وضعهما في مرحلتين مختلفتين، مما يجعل التقسيم المتبع من قبلهم مبنيًا على أساس المنطق التاريخي السياسي، وليس مبنيًا على الاختلاف والتطور اللغوي أو الكتابي.

وبالقيم الصوتية للمقاطع والمفردات الأكادية .

– لهجات ما بعد العصر السومري:

وهي عبارة عن لهجتين لغويتين فقط ، عُرفتا باسم لهجة العصر البابلي القديم الأخيرة ، ولهجة ما بعد العصر البابلي القديم ، لكننا نرى تسميتها على التوالي هكذا : لهجة العصر البابلي ، ولهجة ما بعد العصر البابلي.

١ – لهجة العصر البابلي:

وهي لهجة استمرت لفترة تصل إلى مائتين وخمسين عامًا من ١٨٥٠ق. م إلى ١٦٠٠ق. م ، تميزت لغة نصوصها باختلاف واضح عن لغة نصوص المراحل السابقة. وهي عبارة عن نصوص اقتصادية وقضائية وأدبية ، فضلاً عن الكتابات الملكية لسلالتي مدينتي لارسا وبابل.

٢ – لهجة ما بعد العصر البابلي:

لعل هذه اللهجة هي أطول المراحل استمرارًا ، فقد استمرت لمدة تصل إلى ستمائة سنة من ١٦٠٠ق. م إلى ١٠٠٠ق. م ، حيث اختفت اللغة السومرية تمامًا بعد هذا التاريخ كلغة محكية ، لكنها استمرت في الكتابات الأكادية (انظر أدناه) عن طريقين : الأول : استمرار استخدام الكاتب الأكادي السومرية صيغة اختزال في النصوص الأكادية ، وذلك بتدوين المقطع الرمزي السومري الواحد للكلمة المراد كتابتها ، بدلاً من تدوين لفظها الأكادي بالمقاطع الصوتية ؛ وفي هذه الحالة يقرأ المقطع الرمزي باللفظ الأكادي (حنون، ٢٠٠١م ، ص٨٨). الثاني : تمثل في إعادة استنساخ قوائم المفردات والنصوص الأدبية السومرية وإعادة

استنساخها. وفضلاً عما يعود إلى هذه المرحلة من نصوص مستنسخة، فقد جاءنا من هذه اللهجة كتابات ملكية وإنتاج أدبي تعود للفترة الكاشية (الكوتية). ومن الواضح كما يقول رشيد، ١٩٧٢م، ص ص٣٠-٣١، أن هذه الإنتاجات كانت متأثرة باللغة البابلية.

ثانيًا: الأكادية المسمارية ولهجاتها:

هي تسمية مشتقة من اسم الأقوام الأكادية الذين استوطنوا أواسط، بلاد الرافدين وجنوبها، منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، وهم أصحاب الإمبراطورية التي وحدت لأول مرة جميع مدن بلاد الرافدين وأقاليمها. ويعود الفضل في استخدام مصطلح الكتابة أو اللغة الأكادية إلى "رولسنون"، وذلك للدلالة على اللغة الثانية التي تضمنتها النصوص الثنائية اللغة المكتشفة في نينوى. واللغة الأكادية كما يقرر، دورا، ٢٠٠٥م، ص٢٩، لا تعتمد على تقرير المفاهيم أو الغموض الصوتي مثل اللغة السومرية، ولكنها تعتمد علىعدم تحديد المفاهيم مع تحديد للصوتيات، ولذلك فإن اللغتين على طرفي نقيض، لكنهما ليستا منفصلتين؛ فالمفاهيم في السومرية تظهر عندما تضاف إلى الرموز لتحديدها وتعريفها، أما في اللغة الأكادية فيتم فصل المفهوم عن الكلمة، والعلاقة بينهما هي علاقة صوتية فقط. وما يجب أن نعرفه هنا ثلاثة أمور:

الأول: أن الأكادية تختلف عن السومرية بأنها لغة سامية، وأول من قال ذلك، وهو محق، "إسيدر لوونتم" (Isider Lowentem) (شاربان، ٢٠٠٥م، ص٣٧).

الثاني: أن هذه اللغة كانت معروفة ومحكية منذ أقدم العصور، بدليل أن

أسماء العديد من حكام المدن السومرية وملوكها في عصور فجر السلالات (٣٠٠٠- ٢٣٥٠ق.م)، وردت بصيغة أكادية، فنصف أسماء حكام سلالة كيش الأولى، التي حكمت بعد الطوفان، هي أسماء أكادية، فضلاً عن أن المدونات السومرية من الفترة ذاتها تضمنت مفردات أكادية، حتى أن لوكال (لوجال) زاجيزي السومري كتب على تمثاله نصًا بالأكادية (الأحمد، ١٩٨١م، ص١٠). لذا فالتواصل بين هاتين اللغتين كان قويًا، بحيث أثر كل منها بالآخر تأثيرًا واضحًا في استخدام المفردات والمصطلحات الفنية والقواعد النحوية، وكذلك أساليب التعبير.

الثالث: أن هذه اللغة - وتحديدًا من بداية الألف الثاني قبل الميلاد- قد تفرعت إلى لهجتين رئيسيتين هما: البابلية في الجنوب، والآشورية في الشمال، وهكذا، وتحديدًا منذ الخمسينات من هذا القرن أصبح مدلول هذه التسمية وهو الأكادية يستخدم على جميع اللهجات الرئيسة المتفرعة من الأكادية، وهي إلى جانب الأكادية، اللهجتان البابلية والآشورية.

أ – اللهجة الأكادية القديمة:

وهي أقدم هذه اللهجات المستخدمة في الأصل من القبائل الأكادية، منذ أن استقرت في بلاد الرافدين وحتى سلالة أور الثالثة. وجاء استخدامها بشكل واضح خلال فترة حكم السلالة الأكادية التي أسسها سرجون الأكادي، ويغلب على هذه اللهجة التأثر الواضح بالسومرية، فهي مليئة بالمفردات والمصطلحات السومرية (الأحمد، ١٩٨١م،

ص١٥). ودلت الدراسات الحديثة (حنون، ٢٠٠١م، ص١٢٨)، أن نسبة كبيرة من نصوصها خاصة بالمعاملات التجارية والاقتصادية والإدارية. وبالنسبة للألواح الكتابية العائدة للعصر الأكادي فقد تميزت بأشكالها التي يسهل التعرف إليها، فهي ألواح تتصف بجودة طينتها وبأشكالها المستطيلة وانتظام كتابتها وتخطيط أسطرها، في حين كانت علاماتها (رموزها) المسمارية منقوشة بعناية ودقة.

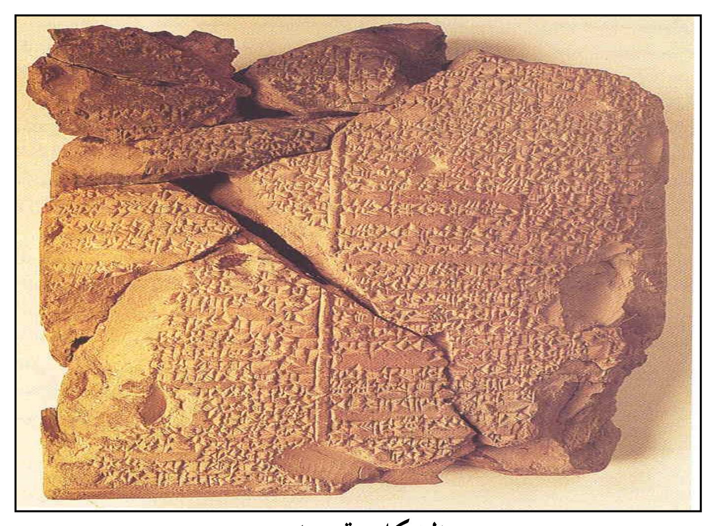
ب – اللهجة البابلية:

وهذه اللهجة مرت بمراحل أربع خلال فترة استخدامها، التي استمرت لما يزيد عن ألفي عام منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي (بداية الألف الأول الميلادي) وهذه المراحل هي:

١– البابلية القديمة:

برزت هذه اللجهة في بابل الواقعة جنوب بلاد الرافدين منذ عام ٢٠٠٤ق. م إلى ١٥٩٥ق. م، مما يعني أنها كانت مستخدمة لمدة تزيد عن أربعة قرون. وما يميزها عن غيرها من اللهجات البابلية الأخرى أربعة أمور، الأول: أنها لهجة متأثرة بشكل واضح باللهجة الأمورية، الثاني: أنها اللهجة "الكلاسيكية" نظرًا لمحافظتها على معظم الصيغ والأشكال النحوية الصحيحة، نحو محافظتها على حركات الإعراب والتمييم. الثالث: انتشارها الجغرافي الواضح فقد عُثر على نصوص بابلية قديمة في مناطق تمتد من الخليج العربي (البحر الأسفل) إلى البحر الأبيض المتوسط (بحر مغرب الشمس). الرابع: الكم الهائل المكتشف من نصوصها، بحيث إن نسبة ما عُثر عليه من نصوص هذه اللهجة يصل إلى الربع من مجموع

النصوص المسمارية المكتشفة حتى الآن (حنون، ٢٠٠١م، ص١٢٩)، فقد شهد هذا العصر حركة واسعة من التدوين والتأليف والاستنساخ والترجمة، فهناك النصوص اللغوية المعجمية التي تشرح الكلمات السومرية وعلاماتها وقيمها الصوتية ومرادفاتها البابلية، والمعاجم الخاصة بأسماء النباتات والحيوانات وأسماء الأشياء والمواد الأخرى، وهناك الآلاف من ألواح هذه اللهجة التي تناولت الشؤون العامة والمعاملات المختلفة، مثل البيع والشراء والقروض والأحوال الشخصية، ونصوص الفأل والنصوص الرياضية التي اشتهر بها العصر البابلي القديم، فضلاً عن الرسائل والكتابات الملكية وسجلات الحوادث.



الشكل رقم (٤)

خطاب النحاس بالسومرية وترجمته إلى الأكادية يعود للقرن الثامن عشر قبل الميلاد

(نقلاً عن دورا، ٢٠٠٥م، ص٢٦)

٢ - البابلية الوسيطة (الوسطى):

وهي اللهجة التي عُرفت خلال الفترة الزمنية الواقعة بين الأعوام

١٥٩٥ق. م- إلى ١٢٠٠ق. م، وهذا يعني استمرارها لمدة تزيد على الثلاثة قرون، وكانت بابل خلالها محكومة أولاً من الكوتيين (الكاشيين)، وثانيًا من سلالة أيسن الثانية، وبسبب الهيمنة السياسية للكاشيين (للكوتيين) فقد طرأ على هذه اللهجة تغيرات بسيطة، ولعل أبرز المظاهر اللغوية في هذه اللهجة، هو تضاؤل استخدام حركات الإعراب. وبالنسبة لنصوص هذه اللهجة فإن أغلبها نصوص أدبية مستنسخة من نصوص أقدم، نحو ملحمة جلجامش، وقصة الطوفان، وقصة أيوب البابلي، والعديد من الكتابات الخاصة بالتنجيم، والمعاجم التي تضمنت مفردات باللغة الكاشية، لغة المحتل التي لم تلق الانتشار والقبول من العامة. أما النصوص الملكية المكتوبة بهذه اللهجة، فهي مقارنة باللهجات الأخرى السابقة قليلة جدًا، إذْ لم تتعد المئتي نقشٍ ملكي (حنون، ٢٠٠١م، ص١٣٠). وكان الاستخدام الواضح لهذه اللهجة هو تدوين نصوص "الكدورو"، وهي أحجار كانت بمثابة سجلات لتثبيت حدود الأملاك والعقارات. لكن هذا الاستخدام القليل نسبيًا لهذه اللهجة في بلاد الرافدين نراه مغايرًا لدى شعوب الممالك المعاصرة آنذاك، فقد كانت البابلية هي لغة الدبلوماسية العالمية، لهذا انتشرت في مناطق العالم القديم الهامة مثل الأناضول، حيث كانت الإمبراطورية الحثية، والممالك في سوريا، والأخرى المطلة على البحر الأبيض المتوسط حتى قبرص. ولعل أبرز هذه النصوص السياسية تلك التي عُثر عليها في مصر في موقع تل العمارنة عاصمة أخناتون، وكان عددها يزيد قليلاً على الثلاث مائة وخمسين رسالة (حنون، ٢٠٠١م، ص١٣٠؛ وافي، بدون، ص ص٢٧٧- ٢٠٨، هـ: ١).

٣ – البابلية الحديثة:

وهي لهجة بابلية ترقى إلى القرون الأربعة الأولى من الألف الأول قبل الميلاد، وتحديدًا من ١٠٠٠- ٦٠٠ق.م. وحملت نصوصها تأثيرات آرامية واضحة إضافة إلى فقدان نصوصها لحركات الإعراب، التي بدأت بالتضاؤل في المرحلة السابقة.

٤ – البابلية المتأخرة:

طغى على هذه اللهجة التي بدأت في الظهور بعد سقوط بابل، على يد الأخمينيين في القرن السادس قبل الميلاد - التعقيد في خطها وصعوبة قراءتها، ورغم تضاؤلها وتقلصها أمام اللغة والكتابة العالمية الجديدة: الآرامية، إلا أن عدد النصوص المكتشفة حتى اليوم نحو عشرة آلاف نص، إضافة إلى ستمائة رسالة فضلاً عن مجموعة من النصوص الأدبية القديمة، ونصوص خاصة بتنبؤات الفأل ونصوص ثنائية اللغة (السومرية- بابلية) (حنون، ٢٠٠١م، ص١٣٢).

ج – اللهجات الآشورية:

تفرعت هذه الآشورية الشمالية من الأكادية الأم، وقد مرت بمراحل ثلاث، كانت معاصرة من حيث الزمن لمراحل اللهجات البابلية، بمعنى أنها بدأت تتفرع من الأكادية في حدود الألف الثاني قبل الميلاد.

١ – الآشورية القديمة:

رغم أن هذه اللهجة آشورية متفرعة من الأكادية، إلا أن نصوص هذه اللهجة جاء معظمها من خارج بلاد آشور، وتحديدًا من المستوطنات

التجارية في بلاد الأناضول. وهذه النصوص التي جاء معظمها من موقع مدينة كانش القديمة (كول تبه شرقي تركيا حاليًا)، كانت عبارة عن سجلات تجارية توثق النشاط التجاري للجالية الآشورية المقيمة هناك؛ وإضافة إلى هذه النصوص، استعملت هذه اللهجة في كتابة بعض الرسائل وعدد قليل من النصوص الملكية. وأبرز ما يميز هذه اللهجة هو تجنبها التشديد على الحروف الصحيحة، وتحول حركة الفتحة إلى الحركة نفسها على الحرف الصحيح التالي (حنون، ٢٠٠١م، ص٦٧). فكلمة **ترَتش** تتحول في هذه اللهجة إلى **تَرِتش**؛ كما أن من خصائصها أن حرف الواو في أول الكلمة يتحول فيها إلى ألف مع حركة الضم مثل: **وَردُم** التي تتحول إلى أُردُم، إضافة إلى تحول حرف الزاي في أول الكلمة إلى حرف السين، مثل كلمة **زقُّرَّةُ** الأكادية تكون في الآشورية القديمة هكذا: **سقُّرَّةُ** (حنون، ٢٠٠١م، ص١٣٣).

٢ - الآشورية الوسطى:

استعملت هذه اللهجة بشكل واضح في تدوين الوثائق القضائية والكتابات الملكية والنصوص الأدبية وتميزت باستخدام خصائص لغوية قديمة، وتحديدًا من المرحلة السومرية الأركائية، كما وجد ميل، خصوصًا في الكتابات الملكية، إلى استخدام اللهجة البابلية، ويرى حنون، ٢٠٠١م، ص١٣٤، أن هذا الاستخدام للهجة البابلية يعود إلى تأثر الطبقة العليا في المجتمع الآشوري بالثقافة البابلية. كما كان من خصائص هذه اللهجة تحولات حروف الشين، والتاء، والواو، والميم، والنون؛ فالأول غالبًا ما يكتب سينًا، إضافة إلى أنه ينقلب إلى لام إذا جاء قبل حرف التاء، مثل: **ش ت** تتحول إلى **ل ت**، أما الحرف الثاني التاء،

فيتحـول بعـد حـرف القـاف إلى طـاء، نحـو **ق ت** تصـبح **ق ط**. وبالنسـبة لحرف الواو إذا جاء داخل الكلمة فيتحول إلى بـاء؛ في حـين كـان الحرفـان الميم والنون يتغيران إلى همزة في حالتين: الأولى: إن كان متحركًا وسـبقه حـرف متحـرك في الكلمـة، والثانيـة: إن جـاء قبـل حـرف التـاء (حنـون، ٢٠٠١م،

ص١٣٤). كما عرفت هذه اللهجة باستخدامها صيغة الماضي التام بشكل أساسي في الجمل (موسكاتي وآخرون، ١٩٩٣م، ص ص٢٢٤، ٢٤٠) وباستخدامها لفعل شـاذ هـو: **ن ص ص** أي "جلـب"، الـذي لم يستخدم على الإطلاق إلا في الآشورية المتوسطة (الوسطـى) أو الحديثـة (حنـون، ٢٠٠١م، ص١٣٤؛ حنـون، ١٩٩٨م، ص ص٦٧- ٦٨).

٣ – الآشورية الحديثة:

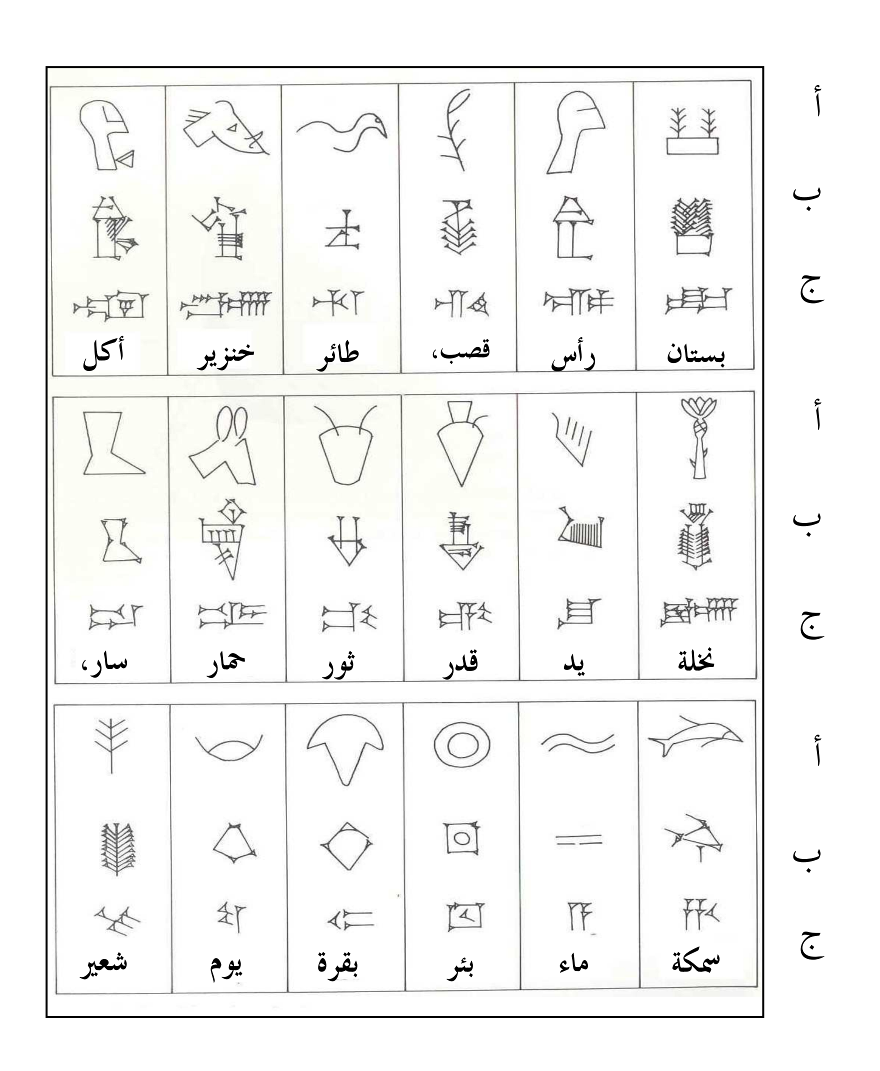
سادت هذه اللهجة في فترة ازدهـار بـلاد آشـور وعصر الإمبراطوريـة والتوسـع العسـكري، أي مـن بدايـة الألـف الأول قبـل المـيلاد إلى نهايـة النصف الأول منه (١٠٠٠- ٦١٢ق.م)؛ مما يعني أن جل النصـوص الآشورية تعود إلى هذه اللهجة، مثل الرسائل والوثائق القانونية والإدارية والنصوص الملكية والأدبية. وقد تميزت هذه اللهجة بعدة أمور:

الأول: تأثرها الواضح، خصوصًا في نصوص الوثائق الإدارية بالآرامية.

الثاني: اختفاء حركات الإعراب من أواخر الكلمات.

الثالـث: التحـولات في بعـض حروفهـا مثـل: الـلام، والتـاء، والمـيم، فالحرفـان الـلام والتـاء يتحـولان إلى سـين مضـعفة، في حـين يتحـول حرفا الميم والتاء المتعاقبان إلى نون وتاء أو إلى تاء مضعفة (الأحمد، ١٩٨١م، ص١١).

الرابع : استعمال صيغة الماضي التام بدلاً عن الماضي البسيط في الجمل الشرطية المبتدئة بأداة الشرط شُمَّ، التي تعني" إذا"، أو، "افترضنا" (حنون، ٢٠٠١م، ص١٣٥ ؛ الجبوري، ١٩٩٨م، ص ص٤٩-٦١ ؛ حنون، ١٩٩٨م، ص ص ٦٨- ٦٩).



نماذج للكتابة السومرية التصويرية

أ – علامات تصويرية مسمارية تعود للألف الثالث قبل الميلاد.

ب – علامات مسمارية تعود لمنتصف الألف الثالث قبل الميلاد.

ج – علامات مسمارية آشورية متأخرة من منتصف القرن السابع قبل الميلاد.

الشكل رقم (٥)

(نقلاً عن Walker, 1987, p.10)

ثالثًا: الكتابات المصرية القديمة:

المتأمل للكتابة المصرية المنقوشة على النصب والهياكل الحجرية سيتبين له مدى رشاقة الأشكال المصورة وانسياب خطوطها ووضوحها مقارنة بغيرها من الكتابات الأخرى، لكن هذه الرشاقة والانسياب ما كانت كذلك في البداية، كما تُظهر الأدوات التي عُثر عليها في منطقة أبيدوس، والعائدة إلى الأسرة المعروفة بالأسرة "صفر" (فيرنو، ٢٠٠٥م، ص٤٥). وقد استمرت بداية الكتابة في مصر القديمة، حتى نهاية الأسرة الثانية، أي في الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد نحو سنة ٢٧٨٠ق. م. والملاحظ أن الكتابة في تلك الفترة كانت مستخدمة في حدود ضيقة، إذ إن غالب ما كُتب بها كان أسماء أعلام شخصية. لكن البداية الفعلية لكتابة النصوص المترابطة كانت خلال فترة الأسرة الثالثة (٢٧٨٠- ٢٦٨٠ق. م)، وتحديدًا في حكم ملكها المعروف باسم زوسر أو جسر أي "المقدس". ولاحقًا في فترة الدولة الوسطى (٢١٣٣- ١٧٨٦ق. م)، بدأت تظهر للمرة الأولى النصوص الأدبية والعلمية، مثل بحوث في الرياضيات والطب ... إلخ (فيرنو، ٢٠٠٥م، ص٤٥). ولنعد الآن إلى النصوص المنقوشة بانسياب ورشاقة، فقد مثلت رموزها وعلاماتها الأدوات اليومية المستخدمة في حياة المصري القديم معتمدًا بشكل واضح على الحيوانات والطيور، مثل: التماسيح، وأفراس النهر، والأسود، والنمور، والزرافات، والفيلة، والقردة ... وغيرها، فضلاً عن الجسم البشري أو أجزاء منه في أوضاع مختلفة، وكذلك النباتات وعناصر الطبيعة الأخرى، وكانت هذه الأدوات ترسم بطريقة هي أقرب إلى رسم اللوحة الفنية منها إلى الكتابة، وبطريقة تبين خصائص هذه الأداة

المرسومة ولنأخذ مثلاً الوجوه الآدمية التي كانت ترسم من زاوية جانبية، في حين يأتي الجزء الأوسط من الجسم مرسومًا من منظور أمامي، أما أسفل الجسم فكان يرسم من منظور جانبي، وهذا الأسلوب في الكتابة لا يستهلك وقتًا طويلاً فحسب، بل يحتاج إلى صبر وتأنٍ، لذا فلا غرابة في أمرين: الأول: تسمية كتابتهم بالكتابة المقدسة، ولغتهم، إضافة إلى المسميات الأخرى، اسم "كلام الإله"، والثاني: حصر الكتابة، خصوصًا في العصر المصري القديم المبكر، بالكهنة وبعائلات معينة، إلى درجة أن مهنة الكتابة كانت من المهن المتوارثة عن الأب إلى الابن، ... وهكذا.

المهم أن هذه الكتابة بدأت مثل غيرها بالعلامات والرموز ومخصصات المعاني، فالعلامات أو الكلمات المصورة تمثل الألفاظ المعبرة عن الأشياء الملموسة من غير مراعاة لواقع أصولها، بمعنى أن العلامة تمثل أحيانًا كلمة واحدة أو فكرة ممثلة من كلمات، كما تعبر عن معان أخرى ملموسة واقعية، مثل الفعل "طَارَ" يمثل بطائر مفرود الجناحين، أو الفعل "أَكَلَ" فيمثل برجل يمد يده إلى فمه... وهكذا. أما الرمز الصوتي، فهو عندما تحل كلمة محل أخرى تشتمل على الأصوات نفسها، لكنها تختلف في المعنى، مثل رسم السنونو الذي يعبر أيضًا عن صفة "كبير"، ورسم الجعل أو الجعران الذي يعبر عن الفعل "صَار". وهناك الرمز الدال أو المفسر، الذي يعرف أيضًا بالمخصص، فهو رسم جامد وظيفته تخصيص الكلمة ذات الأصوات المشتركة، والمعاني المختلفة مع تحديد معنى خاص دون آخر مثل علامة قرص الشمس، فهو يأتي دالاً، مفسرًا أو مخصصًا للمفردة للدلالة على الشمس، واليوم، والنهار، والضوء، والشروق، والزمن، وهذه الطريقة أو هذا النمط الكتابي معروف في معظم الكتابات

المعاصرة آنذاك، لكن المصرية تميزت بعدة أمور - حسب علمي المتواضع- :

الأول: استخدامها للشرطة الرأسية، وهو مصاحبة رمز المعنى بخط عمودي قصير تحته أو إلى جانبه، وهذا يعني أن العلامة تعبر عن نفسها وتؤدي المعنى الذي يمثل دورها الوظيفي.

الثاني: ندرة الرموز من ثلاثة أصوات نحو الجعل فصوته وهو "خيري" يوافق صوت الفعل المصري القديم، الذي يعني "كان، حدث، صار"، وهكذا استخدم رسم الجعل، ليمثل صوت الفعل "خيري".

الثالث: تتميز المصرية من الناحية الكتابية التي يمكن ترتيبها في أربعة إتجاهات مقروءة على النحو التالي:

١ - تأتي في خط أفقي من اليمين إلى اليسار، وأحيانًا أخرى في خط أفقي لكن من اليسار إلى اليمين.

٢ - تكتب من الأعلى إلى الأسفل في كتابة عمودية، حيث تقرأ الأعمدة والعلامات داخليًا من اليمين إلى اليسار، وأحيانًا تكون من الأعلى إلى الأسفل في كتابة عمودية، والأعمدة والعلامات داخل مربعات، لكن قراءتها تكون من اليسار إلى اليمين.

وكما حدث مع الكتابة المسمارية من تنافس وعمل مضنٍ من العلماء، حدث كذلك مع هذه الكتابة، فقد بذل العلماء الغربيون جهودًا جبارة ومضنية في سبيل كشف غموض هذه اللغة ورموزها وكتابتها، فمن المقارنات العجيبة أن الغرب هو الذي أنهى أو سعى لموت اللغة والكتابة المصرية، وهو أيضًا الذي عمل باحثوه وعلماؤه جهدهم الرائع لفك شفرتها وسهل معرفة معانيها ورموزها ورسومها. فقد أصدر

الإمبراطور "ثيودوسيوس" عام ٣٩٢م أمره - نتيجة لانتشار المسيحية واعتناق الكثيرين لها- بمنع ممارسة العبادات الوثنية (فيرنو، ٢٠٠٥م، ص٤٨)، فكان هذا المنع، الذي هو مفتاح اختفاء المصرية القديمة، تمامًا كما حدث عندما اعتنق المصريون الإسلام، تأثروا بثقافة الإسلام العربية، فتحولوا إلى غير رجعة عن اللغة أو اللغات الخاصة بدياناتهم السابقة للإسلام، آخذين بلغة دينهم الجديد، العربية. والواقع أن علاقات الغرب بمصر تعود إلى عصور قديمة، فهي مفتاح الغرب إلى أفريقيا، ومفتاح أفريقيا إليها بشهادة العلاقات التجارية والسياسية بين المصريين القدماء والغرب، ممثلاً بجزيرتي كريت وقبرص وغيرهما، حتى أن المصريين استعانوا "بمرتزقة" من جزيرة كريت لمساعدتهم في طرد الآشوريين، لذلك فالقول بأن أول من نقل إلى الغرب أو حدثه عن لغتهم المقدسة هو هيردوت المؤرخ اليوناني المعروف خلال القرن الخامس قبل الميلاد - كما يذكر دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٥٣، قول تدحضه حقائق التاريخ ومعطياته الحضارية. نعم، تعود كتابة اليونانيين عن مصر تحديدًا إبان انهيارحضارة مصر العريقة وانحطاطها، وسير حضارتهم إلى التقدم والرقي، لذلك جاءت كتابتهم عن الحقبة الزمنية المعاصرة لهم، لا تعكس صورة مصر الحضارية المتميزة التي نعرفها اليوم، وكما تخبط - أحيانًا هيردوت بدون قصد منه، في سرده للتاريخ والحضارة المصرية- فقد أوقع أيضًا عدد منهم أنفسهم في أخطاء واضحة وجلية لفهم اللغة المصرية، لعل أبرزهم في ذلك اليوناني "غور ابولون"، الذي وضع كتابين عن الهيروغليفية (المصرية القديمة) وذلك في سنة ٣٩٠م، ففي كتابيه هذين فسر الصور والعلامات تفسيرات خيالية مليئة بالسطحية والبعد عن

الواقعية[10]، لكن يعود إليه الفضل كما يقول دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٥٤، في قوله إن هذه الهيروغليفيات ليست إلا كتابة تصويرية فقط، ولا بد أن يتخذ كل رمز منفصل فيها مفهومًا مستقلاً. وكما ذكرنا أعلاه ما للامبراطور "ثيودوسيوس" من دور غير مباشر لاختفاء المصرية القديمة، فإننا هنا نشير ما للغرب المسيحي من دور مباشر في إعادة الحياة لهذه اللغة العريقة، التي استمرت لمدة تزيد عن الثلاثة آلاف سنة، وذلك عن طريقين أدت المصادفة فيها دورًا واضحًا، الأول: هي المسلات المصرية التي نقلت من مصر إلى روما لتزين بها شوارعها[11]، والثاني: هو حجر رشيد الذي عُثر عليه في عام ١٧٩٤م؛ فالأول وهي المسلات كانت تلفت نظر المهتمين بالحضارة المصرية وكان منهم العالم "الجزويني أفاناس كيرخير" (Budge, 1986, p.15)، الذي وضع الأساس لعلم المصريات بدراسته لهذه المسلات. ومن الواجب أن أشير هنا إلى أمرين:

---

(١٠) المرجح أن غور ابولون، ألف كتابيه هذين باللغة القبطية، ثم نُقلا إلى اليونانية في القرن الخامس عشر الميلادي، وعندما وقع في أيدي علماء النهضة، نظروا إليهما نظرة مجردة من أي نقد، بل خصا بقدسية كانت تتميز بها جميع كتب القدماء (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٥٤). وهذه النظرة القدسية لما كتبه القدماء، حلت مصيبتها علينا نحن المسلمين في الوقت الحاضر، حيث يعطي البعض من طلاب العلم مكانة خاصة، قد تصل أحيانًا إلى نظرة علماء النهضة، وهي القدسية، لعدد من كتب التفسير وكتب الفقه التي كتبها علماء أفذاذ خلال العصر العباسي، وهم لنظراتهم هذه لا يسمحون لأحد بمناقشة تلك الآراء وطرحها على ميزان الشريعة الغراء.

(١١) الواقع أن هذه المسلات عادت إلى الحياة بفضل كاردينالات روما، الذين نفضوا عنها الغبار وقاموا بترميمها، وعندها ظهرت آراء متعددة استمرت لمدة قرنين من الزمان (فيرنو، ٢٠٠٥م، ص٤٩)، حول ثلاث نظريات: الأولى: هي النظرية الرمزية (الأسطورية)، التي اعتبرت الهيروغليفية رموزًا تتجلى عنها الأسرار، فقد قام "غورابلون" بشرح العلامات الهيروغليفية على أساس خيالي وتوقعات رمزية مجازية. الثانية: هي النظرية الفلسفية، التي كانت تعتقد أنها نظام لنقل الأفكار دون الحاجة لوجود لغة. الثالثة: وهي الصحيحة، فقد اعتبرت الهيروغليفية كتابة وأنها سجلت من خلال المصطلحات التصويرية، وعرفت هذه النظرية، بالنظرية التاريخية (فيرنو، ٢٠٠٥م، ص ص٤٩- ٥٠).

أولهما: أن اسم العلم "أفاناس" يعني في الإيطالية "الخالد" (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٥٨)، وقد وافق معنى العلم مسيرة هذا العالم فقد أصبح خالدًا بعد دراسته لهذه المسلات.

وثانيهما: أن اللقاء الحميم بين هذا العالم والمصريين كان بطريق المصادفة، فقد كُلف بالبحث عن أحد الكتب في مكتبة "تشبير"[١٢]، لكنه، لحظه، بعد بحث مضن لم يعثر على ما طلب منه، بل وقع نظره على مجلد مزين بلوحات جميلة وبديعة تمثل مسلات أرسلها البابا "سيكست الخامس" إلى روما (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص ص٦١- ٦٢)؛ وحالما وقعت عيناه على هذه اللوحات وجمالها الأخاذ تيقن أنها ليست كما اعتقد في البداية زخارف عادية بل هي كتابة غامضة. وهكذا تمكن بالجراءة التي يتمتع بها العلماء الخالدون من نشر ما اعتقد أنها ترجمة لهذه النصوص؛ ورغم عدم قبول الباحثين المعاصرين له أو اللاحقين لترجماته الخاطئة، فهو يعدّ أول من قال إن اللغة القبطية هي اللغة الشعبية القديمة (Moret, 1972, pp. 8- 9).

المهم أن هذه المحاولات البدائية غير الناجحة لم تر النور حتى القرن الثامن عشر الميلادي، عندما أعلن الأسقف الأنجليزي "ويليام ووربيرتون" سنة ١٧٤٠م أن الهيروغليفيات لا تتضمن محتوىً دينيًا فقط،

---

[١٢] كان "أفاناسي" يمضي سنة ١٨٢٦م سنة الاختبار الأول له للكهونيتية في تشبير؛ كما تقضي التقاليد الكهنوتية بإرسال الذين ينالون درجة الكهنوتية إلى مكان يعيش فيه عامًا كاملاً ينصرف فيه إلى التأمل الروحي والارتواء (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٥٨).

بل عناصر لفظية ومضامين من الحياة اليومية أيضًا (Budge, 1986, p.51 ، دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٦٣). وهكذا استمر الجدل واستمرت الآراء تتدفق؛ منها الطريف الذي اعتبر أن الصينيين هم مستعمرون مصريون، وآخر قال: أنك إذا أردت أن تحصل على بردية مصرية فما عليك إلا أن تأخذ مزامير داود وتترجمها إلى الصينية الحديثة وتكتبها برموز صينية قديمة (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص ص٦٤- ٦٥)؛ فبهذه الوصفة أعطانا الكونت "بالين" كيفية الحصول على بردية مصرية؛ ومنها الجاد نحو الآراء التي طرحها "أرافني كارستين نيبور"، التي توصل إليها بعد إقامته في القاهرة لعدة شهور بين عامي ١٧٦١- ١٧٦٢م، نجح فيها تصوير العديد من النقوش المصرية القديمة، فقد طرح ملاحظتين مهمتين تجعلانه بحق - من واضعي أساس فك رموز الكتابة المصرية- بقوله إن الفارق الواضح بين الرمز الأكبر والأصغر يجعل من الرموز الكتابية الصغرى تقدم تفاسير ومعانيَ للرموز الكبرى، وأنها تحمل ملامح الأبجدية، وأردف قائلاً إن كان هذا صحيحًا فعلينا أن نبدأ بفك رموز هذه الكتابة بمساعدة اللغة القبطية. أما ملاحظته القيمة الثانية فكانت عن عدد الهيروغليفيات فقد اعتبرها أعدادًا غير كبيرة من الناحية النسبية، مما يجعل - كما يقول نيبور- من الصعوبة اعتبار المصرية بصورة كلية كتابة أديوغرافية (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٦٦).

هذا ما كان نتيجة للمسلات المصرية التي نقلت إلى روما، أما ما كان من شأن حجر رشيد، فعلينا قبل تبيانه إعطاء نبذة مختصرة عن هذا الحجر الصغير، فهو حجر من البازلت الأسود بارتفاع ١١٣سم، وعرض ٧٥سم، بسمك ٢٧,٥سم، (نور الدين، ١٩٩٨م، ص٧)، ومضمونه

شكر للملك "بطليموس الخامس" من الكهنة الذين اجتمعوا في مدينة "منف"، لإصداره قرار وقف الأوقاف على المعابد، مع إعفاء الكهنة من بعض الالتزامات (Budge, 1986, pp.13-4)، وقد كُتب حجر الرشيد بثلاثة خطوط مختلفة - وهو ما جعله من أشهر الأحجار الصماء- ، والجزء الأعلى منه كان عبارة عن أربعة عشر سطرًا بالخط الرباني (الهيروغليفي)، وأسفله النص نفسه لكن بالخط الشعبي (الديموطيقي) وعدد أسطره اثنان وثلاثون، في حين كان الجزء الأسفل منه أربعة وخمسين سطرًا مكتوبة بالخط اليوناني (Budge, 1986, p.13)؛ وهكذا تكون عدد أسطر هذا الحجر بالتحديد مائة سطر. أما لماذا كُتب النص نفسه بثلاث لغات أو خطوط، فلأن الربانية (الهيروغليفية) كانت كتابة الكهنة، والشعبي (الديموطيقي) فهي لغة العامة من الناس؛ بينما كُتب النص نفسه بالخط واللغة اليونانية لأنه خط الحكام أنفسهم وهم البطالسة. لكن كيف وصل إلينا هذا الحجر المهم؟ مرة أخرى تؤدي المصادفة دورها فقد كان الجنود الفرنسيون يحفرون خندقًا حول قلعة رشيد، التي عُرفت فيما بعد بقلعة سان جوليان، تنفيذًا لأمر الضابط الفرنسي المدعو "بوشار" أملاً منهم في الدفاع عن القلعة في وجه الجيش البريطاني، وكان ذلك في عام ١٧٩٤م، وبعد رنين صوت الفاروع الذي اصطدم بشيء ما، عُثر على حجر رشيد نفسه (انظر الشكل رقم ٦). ومن عجائب القدر أن يُعثر على هذا الحجر بعد ألفي عام من كتابته تحديدًا، الذي كان عام ١٩٥ق. م. أما قصة وصوله للبريطانيين فتعود إلى بنود الاتفاقية التي عقدت بينهما بعد هزيمة فرنسا، وكان أحد بنودها تسليم عدد من القطع الأثرية إلى بريطانيا (نور الدين، ١٩٩٨م، ص ص٧- ٨)، فجاء من بينها حجر

رشيد، بعد حوالي ثلاث سنوات من اكتشافه. ومرة أخرى رمي الحظ بظلاله، هذه المرة على الفرنسيين، إذ يظهر أن الوزير الفرنسي "شانتال"، وصلت إليه نسخة مستنسخة من نقوشه، فوقع اختيار الوزير على عالم فرنسي ذائع الصيت آنذاك، وهو "سلفيستر دي ساسي" (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٧١)، الذي نجح في تحديد ثلاث مجموعات من الرموز التي كانت مطابقة لأسماء تكرر وجودها في النص اليوناني وهي: بطليموس، إلكسندر (الإسكندر)، والإسكندرية، لكن ما يمكن اعتباره فتحًا في معرفتنا للغة المصرية جاء هذه المرة على يد الباحث السويدي "دافيد أوكير بلاد"، فحال استلامه لنسخة مصبوبة من حجر رشيد، أرسلها إليه "دي ساسي"، عكف على دراستها، حيث وفق نظرًا لخلفيته باللغة القبطية (وهو ما نادى به الرحالة المشهور نيبور)، إلى التوصل إلى عدد من الملاحظات المهمة:

أولها: نجاحه عند قراءته للنص الشعبي (الديموطيقي)، في التعرف إلى جميع أسماء الأعلام الواردة في النص اليوناني وقراءتها.

ثانيها: نجاحه في الحصول على "١٦" حرفًا أبجديًا، بعد قيامه بتوزيع أسماء الأعلام اليونانية المكتوبة بالرموز الشعبية (الديموطيقية) إلى أحرف متفرقة (Budge, 1986, p.16).

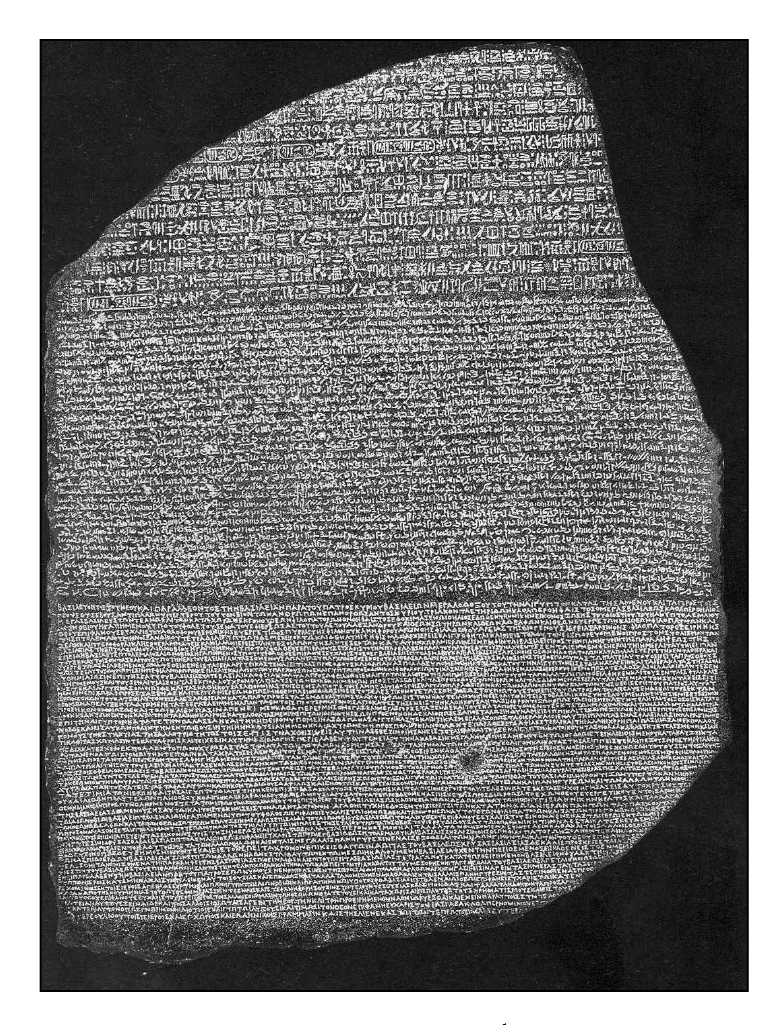
ثالثها: تمكنه من قراءة بعض كلمات النص الشعبي (الديموطيقي) فقرأ كلمتي "برفيوئي"، و "ينين" وتعنيان على التوالي "معبد" و "اليونانيون" في اللغة القبطية.

رابعها: استطاعته التعرف إلى الرمز الذي يستخدم في النهايةالإعرابية

للشخص الثالث (الضمير المتصل).

خامسها: فتحديده للهيروغليفيات، في النص المكتوب بالخط الرباني (الهيروغليفي)، التي تعني الأعداد الترتيبية، "الأول، الثاني، الثالث"، وكان تحديده هذا نتيجة لملاحظته أن النص اليوناني يتحدث عن معابد ثلاثة (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٧٣).

ومع هذا الاختراق الواضح إلا أن العالم السويدي "بلاد" قرر عدم الاستمرار بأبحاثه، بسبب رفض "دي ساسي"، الذي أرسل له نسخة من حجر رشيد لنتائجه وآرائه، وكان "بلاد" حساسًا مرهفًا فتأثر كثيرًا من إنتقادات "دي ساسي" (Budge, 1986, p.16)؛ أما الأمر الآخر والخاطئ الذي وقع فيه "بلاد"، فهو أن دراسته كانت قائمة على أساس أن الهيروغليفية أبجدية.



الشكل رقم (٦)

حجر رشيد المشهور

وبعد جهود "بلاد" دخل هذا الحجر الشهير لمرحلة من الزمن زاوية النسيان حتى عام ١٨١٤م، عندما بدأ "توماس يونغ" التعامل مع هذا الحجر، ولمن لا يعرف "توماس يونغ" علينا التذكير بأنه عالم طبيعيات وطب (Moret, 1972, p.11 ؛ فيركوتير، ١٩٩٣م، ص١٥)، وهو بحق

كما يقول دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٧٥، مؤسس علم البصريات الحديث، ونظرًا لمعرفة أصدقائه بهوايته التي يمارسها في أوقات فراغه، وهي ترميم المخطوطات والنقوش القديمة، كانوا يرسلون إليه من وقت إلى آخر مخطوطات ونقوش قديمة ليقوم بترميمها، وكان منهم اللورد "روزبروتون" الذي أرسل له بردية ديموطيقية، وحال اطلاعه على هذه المخطوطة قرر "يونغ" بعدما تذكر ما قرأه عن حجر رشيد محاولة فك رموزه وقراءتها، خصوصًا أنه على اطلاع بنتائج السويدي "بلاد"، وهكذا عكف هذا الهاوي على دراسة حجر رشيد، فتوصل إلى نتائج فتحت الباب على مصراعيه للحل النهائي لهذه الرموز التي عرفتنا على تاريخ وحضارة الشعب المصري العريق، وذلك خلال أربع سنوات فقط من بدايته في دراسة هذا الحجر ولعلي أحصر نتائجه في الآتي:

١ - قيامه في السنة الأولى بتقسيم النصين الشعبي (الديموطيقي) والرباني (الهيروغليفي) إلى كلمات منفصلة.

٢ - وجد أن مجموعة الرموز التي تكونت بعد تقسيم النصوص تطابقت بصورة مذهلة مع مجموعة الرموز الربانية (الهيروغليفية)، وكانت مجرد مختصرات بسيطة بمعنى أنها مشتقة من الهيروغليفيات.

٣ - تحديده معنى بعض مجموعات الرموز الربانية (الهيروغليفية)، لكن دون تحديد مكانتها اللفظية.

٤ - وضعه عام ١٨١٨م فهرسًا لما مجموعه "٢١٤" كلمة مكتوبة بالربانية (الهيروغليفية)، وكان تحليله لربع هذه الكلمات صحيحًا.

٥ - نجاحه في تحديد "١٤" رمزًا لفظيًا هيروغليفيًا، كان منها "خمسة" رموز حللت تحليلاً صحيحًا، وثلاثة منها كان تحليله لها موفقًا إلى

حد كبير.

٦ - استخراجه المعنى اللفظي للحرفين الأولين "البا" و "الطاء"، اللذين اكتشفهما في اطار اسم الملك بطليموس (Budge, 1986, pp.17- 8; Moret, 1972, pp.11-5 ؛ دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص ص٧٧-٧٨).

وبعد هذه النتائج المذهلة والناجحة تجرأ "يونغ" على نشر بحثه الذي جعل عنوانه "الترجمة الافتراضية لنص رشيد الديموطيقي". لكن هذا النجاح الذي وفق إليه "يونغ" لم يلق الاحتفاء والاستقطاب، الذي كان يأمله من الجهات العلمية في وطنه بريطانيا، نظرًا لمعرفتهم المسبقة بضعفه في علم الفيلولوجيا، وإضافة إلى هذا السبب، فإن "يونغ" كما يقول لم يجد في هذه النصوص التي كانت تدور حول المعبودات والموتى ما يشفي اهتماماته وغليله عن علوم الطبيعة، خصوصًا وأنه شخصيًا كان يعتقد أن فيثاغورس قد استقى الكثير من الحضارة المصرية (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٨٠). لهذا لم يستمر هذا العالم الفذ في أبحاثه ودراساته عن اللغة المصرية القديمة، إلاَّ أنه من دون قصد ترك الباب مفتوحًا على مصراعيه للفرنسي "شامبليون" الذي نرى أنه أخذ مقارنة بالعلماء شهرة ومكانة لا يجب ان تؤول إليه وحده دون غيره من العلماء الذين شاركوا في دراسة هذه النصوص، خصوصًا السويدي "بلاد"، والبريطاني "يونغ". المهم أن "شامبليون" المولود قبل ثماني سنوات من إعلان "نابليون" خططه بالحملة على مصر، ابتسم الحظ له، كما ابتسم لغيره من العلماء الأفذاذ، فقد انتقل مع أخيه الذي كان يعمل أمين سر أكاديمية غرونوبل، إلى مدينة "غرونوبل"، ولحسن حظه كان والي هذه المدينة هو الفيزيائي المشهور

"جان باتيسيت فوربيه" (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٨٥)، الذي كتب مقدمة الكتاب المشهور "وصف مصر"، فخلال لقاءات أخيه بالوالي كان يشاهد العديد من القطع الأثرية، ومنها النصوص المصرية القديمة، التي أحضرها "فوربيه" من مصر. وهكذا دخل حب الاكتشاف والبحث عن المجهول في قلب هذا الفتى الصغير، فقرر تمهيدًا لدراسته هذه النصوص تعلم اللغتين الشرقيتين المهمتين العربية والسريانية، فما أن بلغ هذا الباحث الفذ من العمر أربع عشرة سنة حتى وافق أعضاء جمعية "غرونوبل" على انضمامه إلى الجمعية؛ لكن الذي ساعده كثيرًا في فهم النقوش الهيروغليفية هو عشقه للغة القبطية التي أصبح كما يقول شامبليون يتحدث بها مع نفسه. وهكذا لخلفيته العلمية الجيدة مثل معرفته باللغات القديمة، كالعبرية القديمة واليونانية، واللغات الحية، مثل العربية والسريانية، واستيعابه الواضح والرائع للغة القبطية، التي كانت مفتاحه لفك الغموض المتبقي لهذه النصوص (نُذكر أن هذا كان رأي الرحالة نيبور). بدأ هذا الفرنسي البالغ من العمر تسعة عشر عامًا بعد تقلده منصب أستاذ التاريخ في كلية "غرونوبل" - بالتعامل مع هذا الحجر الذي أدخله التاريخ، فتمكن في عام ١٨١٠م من القول لأول مره إن المصرية القديمة تحتوي على ثلاثة أنماط من الكتابة هي الديموطيقية، والهيروغليفية، والثالث الذي أطلق عليه اسم الهيراطيقية، وبعد ثلاث سنوات وذلك في عام ١٨١٣م، نجح شامبليون في التعرف إلى الضمير المتصل في الهيروغليفية، ونحن نعلم أن السويدي العالم الحساس "بلاد" قد تعرف إلى الضمير نفسه في الديموطيقية؛ وبعد جهد جهيد، معتمدًا بذلك على ما توصل إليه الإنجليزي "يونغ"، نجح هذا العبقري ١٨٢١م وهو في الثالثة والعشرين من إحصاء رموز النص الهيروغليفي وجميع

مفردات حجر رشيد، فاتضح لـه أن "٤٨٦" كلمة يونانية تقابل "١٤١٩" رمزًا هيروغليفيًا، فعرف بذكائه أنه من غير الممكن أن تكون الهيروغليفية كلمات، فعددها أكبر من أن يسمح بذلك (نذكر مرة اخرى بأن هذا ما أشار إليه نيبور)، وكان تفسيره الصحيح للنجمة الصغيرة التي تظهر خلف بعض مسميات النجوم المكتوبة بالهيروغليفية، أنها المحددات؛ وعندما توصل إلى هذه الاستنتاجات حزم أمتعته متجهًا إلى باريس، حيث ألقى دراسته موضحًا الأسلوب المبسط الذي استخدمه للتعرف إلى هذه اللغة، مشيرًا إلى أن هذه الكتابة تتضمن إلى جانب الرموز والمقاطع، رموزًا أبجدية (Budge, 1986, pp.18-27)، فرحبت الجمعية بهذا الإنجاز الشامبليوني، واعتبرته إنجازًا وطنيًا لفرنسا كلها، وهكذا اختطف شامبليون كعكة النجاح بصعوده منصة الشرف تاركًا خلفه الجهد الذي قام به السويدي "بلاد"، والإنجليزي "يونغ"، لكن تمتعه بالنجاح لم يدم طويلاً، فتوفي وعمره اثنتان وأربعون سنة (Moret, 1972, p.11)، تاركًا لصديقه الألماني "ريتشارد ليبسيوس" إكمال أبحاثه، فبذل هذا الألماني كل جهده في إثبات نظرية صديقه ومصححًا بعض جوانب الضعف فيها.

وتوالت بعد هذا الإنجاز المئات، بل الآلاف من الأبحاث والدراسات التي صدرت بلغات عديدة، كانت ذات علاقة قوية بالكتابة واللغة المصرية القديمة. ومن خلال هذه الأبحاث والدراسات وجد العلماء إمكانية تقسيم اللغة المصرية إلى عدة مراحل:

الأولى: المرحلة التي عرفوها باسم: "المصرية القديمة"، وأسميها "اللغة الأم". وقد استمرت هذه اللغة حتى بداية الربع الأخير من الألف الثالث قبل الميلاد (٢٢٦٣ ق. م)؛ وتحديدًا بداية حكم الأسرتين

السابعة والثامنة، التي استمرت حوالي الثلاثين عامًا. وقد عرفت فترة هاتين الأسرتين، عند المؤرخين بالعصر اللامركزي الأول(١٣). ويظهر لنا أن هناك علاقة بين الثورة الاجتماعية التي تبناها الشعب المصري آنذاك، وأساسها التخلي عن كل ما هو قديم - واللغة من المظاهر التي اجتاحتها عملية التغيير- وبداية اختفاء اللغة الأم.

الثانية: مرحلة اللغة الوسيطة، التي بدأت بطبيعة الحال منتصف عصر الأسرة الثامنة واستمرت حتى عصر الأسرة الثامنة عشرة، ويعدها البعض مرحلة النضج الكامل للغة المصرية القديمة (نور الدين، ١٩٩٨م، ص١٥).

الثالثة: فعُرفت باسم اللغة المتأخرة أو لغة العصر الحديث، وقد استمرت حتى عصر الأسرة الخامسة والعشرين، إذ إن بدايتها كانت في النصف الثاني من الأسرة الثامنة عشرة. وبالنسبة للمرحلتين الأخيرة وما قبلها، فقد عُرفتا باسم الديموطيقية والقبطية اللتين تعاصرتا معًا لمدة ستة قرون، فالأولى بدأت من القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الخامس الميلادي؛ في حين أن المرحلة القبطية بدأت بعد سبع قرون من الديموطيقية، أي في القرن الأول قبل الميلاد، واستمرت حتى منتصف القرن السابع الميلادي، عندما اعتنق المصريون الإسلام، وأخذوا بلغته العربية.

أما أنواع الخطوط المصرية وأنماطها فكانت أربعة خطوط هي:

---

(١٣) يعود إلى هذا العصر إضافة إلى الأسرتين السابعة والثامنة، الأسرتان التاسعة والعاشرة.



الشكل رقم (٧)

(نقلاً عن برجرين، ٢٠٠٥م، ص٣)

١ – الخط الرباني (الهيروغليفي):

وهو الخط الرسمي الذي يحتاج إلى التأني، وقد أسماه المصريون

أيضًا الكلمات الإلهية ؛ في حين أطلق عليه اليونانيون الخط الهيروغليفي ، وهي كلمة من مقطعين هيرو (هيروس) أي "مقدس" وغليف (جلوفوس) أي "حفر ، نقش". وهكذا فالاسم الهيروغليفي يعني "الخط أو النقش المقدس". وهذا يدل على أن الاصطلاح اليوناني ما هو إلا ترجمة للاسم ، الذي أطلقه المصريون أنفسهم على خطهم. وكان المؤرخ الإغريقي المشهور هيردوت في حدود القرن الخامس قبل الميلاد (هيردوت ، ٢٠٠١م ، ص١٤٩) أول غربي يترجم الكلمات الآلهية ، وهو التعريف المصري لكتابتهم ، إلى الاصطلاح اليوناني الهيروغليفي[١٤]. وهو خط العلامات الكاملة ، أو كما يذكر نور الدين ، ١٩٩٨م ، ص١٠ ، خط التفاصيل الذي يتناسب مع المنشآت الضخمة ، حيث كان ينقش بالإزميل.

٢ – الخط الكهنوتي (الهيراطيقي):

وجد المصريون لاحقًا الحاجة إلى تطوير خط جديد يتناسب مع طبيعة الحياة الجديدة السريعة والتطور الحضاري الذي كان يعيشه المصريون آنذاك ، فكان هذا الخط السريع المبسط والمختزل ، بل والمشبك المعروف عندهم بالخط الكهنوتي. وهو متفرع عن خطهم الرباني (الهيروغليفي) ؛ وهكذا أصبح هذا الخط فيما بعد ، الذي كان في البداية مخصصًا إلى حد بعيد للكتابة الدينية (برجرين ، ٢٠٠٥م ، ص١٥٥) ، يستخدم في إدارات الدولة المختلفة والحياة اليومية ، وعلى الرغم من أن غالبية نصوصه دينية وتكتب على أوراق البردي بواسطة الحبر والبوص ، خصوصًا تلك النصوص التي تعود إلى العصور المتأخرة ، فإن العثور على

---

[١٤] أما دوبلهوفر ، ١٩٨٣م ، ص٥٤ ، فقد أشار إلى أن صاحب تعبير الهيروغليفيات هو "كليمنت الإسكندري" ، أبو الكنيسة الكاثوليكية.

قطع صغيرة من البردي سجل عليها نص بالخط الكهنوتي (الهيراطيقي)[15]، وجد في معبد جنائزي خاص بالملك ساحو - رع، يدل على أن استخدام هذا الخط يعود إلى الدولة القديمة، وتحديدًا الأسرة الخامسة (نور الدين، ١٩٩٨م، ص١٣). وتشير الدلائل العلمية إلى استمرار هذا الخط في الحياة اليومية في مصر حتى العصر الروماني (فيرنو، ٢٠٠٥م،
ص٤٨). ويجدر بنا الإشارة إلى أمرين:

الأول: أن حروفه لينة، وسطوره أفقية ورأسية.

الثاني: أن نصوصًا بهذا الخط وجدت - إضافة إلى أوراق البردي- منقوشة على الأحجار والأخشاب، لكن على نطاق ضيق.

٣ – الخط الشعبي (الديموطيقي):

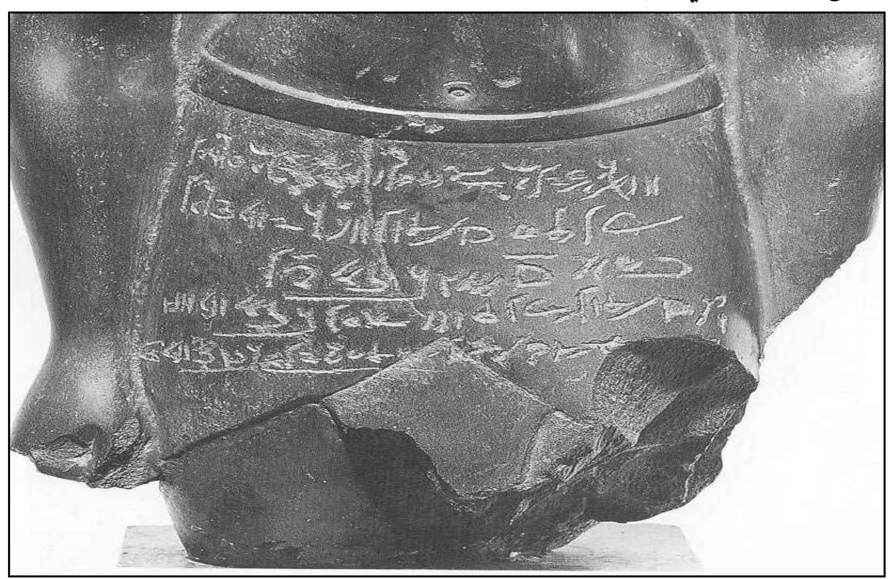
تفرع هذا الخط الذي سمي بالديموطيقي وهي كلمة يونانية مشتقة من ديموس (برجرين، ٢٠٠٥م، ص٢٥)، من الخط الكهنوتي الهيراطيقي[16]. أما مادتاه الرئيستان اللتان يكتب عليهما فهما: أوراق البردي وقطع الفخار (الأوستراكا) (نور الدين، ١٩٩٨م، ص١١). وكانت بدايته من عهد الأسرة السادسة والعشرين حتى القرن الخامس الميلادي (٨٠٠ ق.م - ٥٠٠م) (فيرنو، ٢٠٠٥م، ص٤٨)؛ وهذا يعني أنه استمر مستخدمًا فترة تزيد على الألف ومائتي سنة. وهو يتبع نظام الكتابة أفقيًا مبتدئًا من اليمين، ورغم مزايا الاختزال وسرعة الكتابة

---

[15] الهيراطيقية: كلمة يونانية "هيراتيكوس"، وتعني كهنوتي أو "ذات علاقة بالدين" (نور الدين، ١٩٩٨م،
ص١٠؛ برجرين، ٢٠٠٥م، ص٥، هـ١).

[16] الجدير بالذكر أن هذا الخط عُرف أيضًا بالخط الكهنوتي المتأخر (الهيراطيقي المتأخر).

به وجودته إلا أن عيبه - كما يذكر برجرين، ٢٠٠٥م، ص٦- يكمن في صعوبة فك رموزه. ولنا ملاحظة على التعريف المعطى لهذا الخط وهو "العامة"، إذ إن كلمة العامة لا تعني على الاطلاق أن العامة كانوا يعرفون الكتابة والقراءة، فمهنة الكتابة شبه محتكرة ومتداولة بين طبقة الكهان والكتبة، الذين يتوارثون المهنة، فيقول برجرين، ٢٠٠٥م، ص٦: إن نسبة من يعرف الكتابة والقراءة في مصر الفرعونية لا يتجاوز ١٪، وقد يصل إلى ١٠٪ في الإسكندرية وحدها فقط[١٧].



الشكل رقم (٨) نقش مكتوب بالخط الشعبي (الديموطيقي)

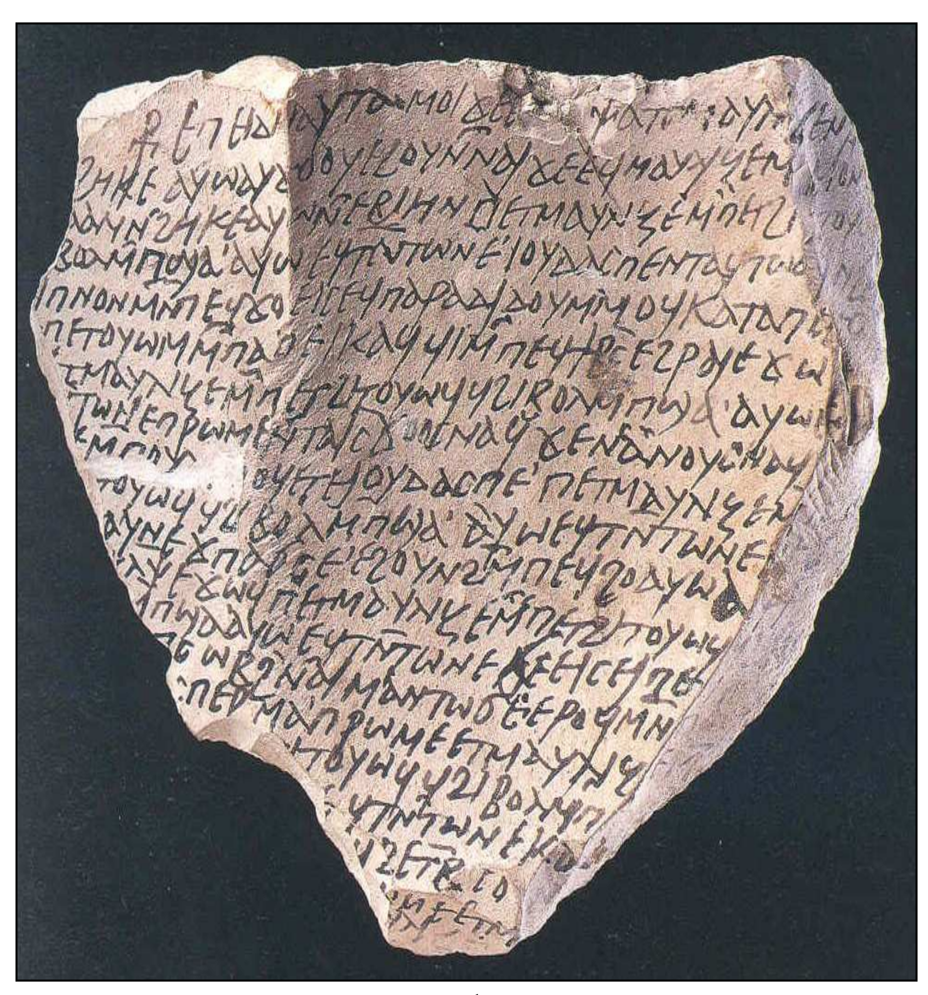
(نقلاً عن فيرنو، ٢٠٠٥م، ص٥٠)

---

[١٧] يجدر بنا الإشارة إلى حقيقة أن القبائل العربية سواء المعروفة باسم الثمودية أو الصفوية أو النبطية هي أكثر شعوب العالم القديم معرفة ومزاولة للقراءة والكتابة، فعشرات الآلاف من النصوص التذكارية التي تعود إلى أفراد كثر من هذه القبائل يدل دلالة قاطعة أن العرب القدماء، وتحديدًا عامتهم، الأكثر ممارسة ومزاولة للكتابة والقراءة؛ في حين يقل استخدام العامة في بلاد الرافدين وسوريا القديمة ومصر للقراءة والكتابة.

٤ – الخط القبطي:

ظهر هذا الخط في القرن الثالث الميلادي، رغم أن بداية استخدام لغته في مصر كانت قبل ظهور الخط بأربعة قرون، وتحديدًا في القرن الأول قبل الميلاد. وهو متأثر بشكل واضح باليونانية مع احتفاظه بسبعة رموز (وقيل: ستة رموز) من الكتابة الديموطيقية (الشعبية)؛ لذا فهو خط مزيج بين خطي المصرية القديمة واليونانية. وكلمة قبطي مشتقة من اليونانية "أيجوبتي" أي "المصري" (نور الدين، ١٩٩٨م، ص١١). وأشار نور الدين، ١٩٩٨م، ص١١، إلى أن كتابة المصري بحروف يونانية بقوله: "إن المصري اضطر لأسباب عملية تتمثل في وجود اليونانيين الغزاة لأن يبحث عن خط يسهل له وسيلة التفاهم معهم، فاختار الأبجدية اليونانية ..."، لكنني أرى أن السبب لا يعود إلى ما ذكر نور الدين أعلاه، وإنما يكمن الأمر بكل بساطة إلى القوة الثقافية التي كانت تتمتع بها اليونانية آنذاك، فضلاً عن هيمنتها على نواحي الحياة العامة، إذ لو كان مقصود المصري إيجاد وسيلة يتفاهم بها مع اليوناني الحاكم لاستخدم اليونانية دون الحاجة لهذا الخلط، تمامًا كما هو حادث في يومنا الحاضر من كثرة المفردات والألفاظ والمصطلحات التي دخلت على لغات الشعوب المختلفة ثقافيًا وحضاريًا، مثل العربية الحديثة التي تأثرت كثيرًا باللغات الأجنبية القوية، نحو الإنجليزية والفرنسية. ورغم أن البعض قد يأخذ برأي نور الدين إذا أُخذ في الحسبان اللهجة المغاربية المحكية (تونس والجزائر والمغرب)، التي يصعب اعتبارها عربية خالصة؛ فالتأثير اللغوي الفرنسي والإسباني فيها لا يمكن إغفاله، لكننا نرى أن الحالين مختلفان، إذ إنها في الأولى لها علاقة بالخط والكتابة، في حين أنها في الثانية مرتبطة باللغة.



الشكل رقم (٩)

نص مكتوب بالحرف القبطي يعود إلى القرن السادس الميلادي

(نقلاً عن فيرنو، ٢٠٠٥م، ص٥٠)

رابعًا: الكتابة الحثية:

ينتمي الشعب الحثي إلى ما يعرف بالشعوب الهندوأوروبية، وموطنهم الأصلي كان آسيا الصغرى. وتعود معرفتهم واتصالاتهم بشعوب بلاد الرافدين وسوريا الكبرى إلى أزمنة موغلة في القدم، وتحديدًا منذ عهد الملك الأكادي الشهير "سرجون". فقد كانت بلاد الرافدين تستورد العديد من ثروات آسيا الصغرى الطبيعية، مثل الفضة والنحاس وأخشاب البناء (الحلو، ٢٠٠٤م، ص٥١٤). لكن الاتصال الذي يمكن اعتباره عسكريًا من الجانب الحثي يعود - حسب علمنا- إلى منتصف القرن السابع عشر قبل الميلاد، عندما قام أحد ملوك الدولة الحثية القديمة وهو "حتوشلي" (١٦٥٠- ١٦٢٠ ق. م)، بالتنافس مع مملكة حلب على السيطرة على شمالي سوريا. ولاحقًا بدأت الاتصالات والاحتكاكات بين الإمبراطوريتين المصرية والحثية إلى أن تطورات هذه العلاقات في ظل التنافس بينهما في السيطرة على هذا الجزء من العالم القديم إلى صراع ثم معارك كان ذروتها في المعركة المعروفة باسم معركة "قادش".

وعلى الرغم من التميز الحضاري والسياسي الذي لعبته الإمبراطورية الحثية منذ القرن السادس عشر إلى الثالث عشر قبل الميلاد، إلا أن هذه الدولة استخدمت رسميًا نوعين من الخطوط السائدة آنذاك، وهما الخط الديني (الهيروغليفي) المعروف في مصر القديمة، والآخر هو الخط المسماري السومري - البابلي، فالأول تم استخدامه في الكتابات الحجرية وعلى النصب التذكارية الهامة والأختام

(Robinson, 1995, p.91)، في حين كان الثاني مستخدمًا للشؤون الحياتية اليومية. لكن السؤال هو لماذا استعار الحثيون الخط الرباني المصري القديم والمسماري السومري - البابلي؟ إن الإجابة على الشق الثاني من السؤال هي في متناول اليد؛ فالمعلوم أن الخط المسماري كان لفترة معينة من الزمن خط الدبلوماسية الدولية المستخدمة من معظم القوى الدولية آنذاك، لذلك فلا غرابة أن ينضم الحثيون إلى معاصريهم باستخدام هذه اللغة والكتابة العالمية؛ لكن المشكلة تكمن في السبب الذي دفعهم إلى اقتباس الخط الرباني المصري، وقد تكون الإجابة المرجحة موجودة في الأغراض التي استخدم في تسجيلها هذا الخط. فمن المعلوم أن الخط الهيروغليفي الحثي استخدم كما ذكرنا أعلاه في النصوص الرسمية وعلى الأختام فقط، بمعنى أن استخدام هذا الخط كان محصورًا في الجهات الرسمية، فهل يعود هذا الاستخدام لإعجاب القيادة بالخط الديني (الهيروغليفي) المصري الذي يتميز بجماله وتناسقه؟ ربما!.

ولنتحدث الآن بشكل مختصر عن الخط الهيروغليفي الحثي، إذ إن أشكاله المصورة تتميز عن الرموز المصرية بالواقعية، لكنها لا تبرز رشاقة الكتابة الدينية المصرية، ولا حتى تناسقها (هبو، ١٩٨٤م، ص٧٠)، ومع مرور الوقت تطورت الكتابة الحثية التصويرية التي كانت أشكالها حوالي أربعمائة شكلٍ، مما يعني أنها اتجهت إلى التبسيط، ومثل المصريين رسم الحثيون أشكالهم باتجاه بداية السطر، فالرؤوس كانت تتجه عيونها نحو بداية السطر، وكذلك الأقدام، إلا أن اتجاه حركة الكتابة في الحثية كان يبدأ من اليمين ويستمر إلى اليسار، ثم يعود من اليسار باتجاه اليمين (هبو، ١٩٨٤م، ص٧٠)، أي بالأسلوب المعروف بالمحراث الذي كان

مستعملاً في الخط العربي الجنوبي (المسند). وهذه الهيروغليفية تشمل - مثل الكتابة الدينية المصرية- نهايات صوتية (مقطعية)، إضافة إلى الأشكال المصورة التي تمثل كلمات كاملة، وعلى المخصصات المحددة.

والآن لننتقل إلى الخط الآخر الذي استخدم في الحياة اليومية، ووجد منه في الأرشيف الملكي في بوغازكي ما مجموعه عشرة آلاف من الرقم التي كتبت أغلبها بالمسمارية الحثية، والباقي كان بالمسمارية الأكادية (Robinson, 1995, p.91)، ولعلنا نشير هنا إلى أن اللغة الحثية ليست الوحيدة التي استعارت الخط المسماري، فهناك على الأقل خمس عشرة لغة استعارت هذا الخط، وجاءت هذه الاستعارة على نوعين: نوع يستعير الخط والمقاطع (وهي الغالبية)، ونوع آخر يأخذ المادة، لكنه يخترع علاماته المسمارية التي ليس لها علاقة بالمسمارية السومرية - البابلية، والحثية من النوع الأول، لكن الحثيين ابتكروا مقاطع جديدة أضافوها إلى ما اقتبسوه من المقاطع السومرية - الأكادية، كما أنهم استخدموا بعض الكلمات المصورة في لغة السومريين والأكاديين مقاطع صوتية عادية، خصوصًا إذا تطابق لفظ (صوت) الكلمة الحثية مع تلك الأشكال المصورة، وهكذا، فإن كتاباتهم تبدو وكأنها مؤلفة من ثلاث لغات مختلفة، نظرًا لابتكارهم مقاطع جديدة واقتباسهم ألفاظًا سومرية وأكادية واستخدامهم مقاطع من اللغتين الأخيرتين.

وكما تحدثنا عن جهود العلماء الأفذاذ في فك رموز وعلامات الكتابتين واللغتين العريقتين المسمارية والمصرية القديمة، فإننا سنتطرق في هذه الأسطر إلى دور هؤلاء العلماء في فك رموز الحثية. ولعلنا نبدأ بذلك

الرحالة السويدي الجنسية "يوهان لودفيغ بوركهاردت"، المولود عام ١٧٨٤م، والمتوفى في القاهرة عام ١٨١٣م تحت اسم الحاج (الشيخ) إبراهيم، فهو أول من لفت نظر العالم إلى نقوش غامضة شاهدها في إحدى بازارات مدينة حماة السورية (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص ص ٢٣٦- ٢٣٧). ورغم أن نتائج رحلاته نشرتها الجمعية الجغرافية اللندنية إلا أن الغريب في الأمر أن ملاحظته هذه لم تلفت نظر أحد من المهتمين ، إلا بعد ستين عامًا من تاريخ مشاهدة "بوركهاردت" لهذه النقوش الغامضة، ولم يكن هذا الاهتمام نابعًا من البريطانيين أو الفرنسيين أو الألمان أو حتى باحثٍ أوروبي، لكنه هذه المرة كان بتحرك القنصل الأمريكي في سوريا، وصديقه الكاهن : "جسايا" إلاّ أنهما قوبلا بالشك والريبة من قبل الأهالي، ففضلا النجاة بحياتهما والفرار إلى غير رجعة من حماة، خوفًا من ردة فعل الأهالي.

ويظهر أن هذه الإهتمام الأمريكي لفتت انتباه البريطانيين، الذين اشتهروا بدبلوماسيتهم ودهائهم ومعرفتهم من أين تؤكل الكتف، فتدخلوا بعدما نما إلى أسماع الحاكم العثماني - آنذاك- "صبحي باشا" أخبار الحجر والاهتمام الزائد به، فذهب الحكم العثماني فيما يظهر باقتراح من القنصل البريطاني في سوريا، الذي طلب مرافقته في هذه الزيارة التفقدية، وبرفقته الكاهن الأيرلندي "وليام رايت". وهكذا لم يجد أهالي حماة إلا السكوت على مضض وهم يشاهدون الإنجليز (البريطانيين) ينزعون الحجر بحماية الشرطة العسكرية العثمانية المرافقة لصبحي باشا؛ وهكذا بدهائهم المعروف نُقل هذا الحجر، مع ثلاثة

أحجار أخرى، من حماة إلى بريطانيا. المهم عادت الكرة رغم البريطانيين إلى الجانب الامريكي، فقد أشار العالم الأمريكي "هيس وارد"، وهو أحد من شارك في التنقيب بموقع مدينة نمرود إلى التشابه بين هذه الرسوم الموجودة على الأحجار، ورسوم جاءت على أحد الأختام؛ لكن الصدفة والحذاقة جاءت من الكاهن الأيرلندي الذي شارك في نزع الحجر من حماة "وليام رايت"، بتأكيده على أن هذه الرسوم ليست إلا كتابة ولغة الحثيين الذين ورد ذكرهم في العهد القديم (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٢٣٩).

واستمرت آراء الباحثين ودراساتهم حائرة في فك رموز هذه اللغة، حتى رأت الأكاديمية البريطانية استدعاء أحد المتميزين في دراسات النقوش القديمة لمشاركة فريقها في النقاش حول هذه الرموز الغامضة، فوقع اختيارها على الباحث الشاب "ارتشابلد هنري سايس"، الذي امتاز بأبحاثه ودراساته حول الكتابة المسمارية، وحالما وافق على المشاركة في هذا النقاش صار يتسلم من الأكاديمية ما له علاقة بهذه الرموز مثل التماثيل واللوحات، فلاحظ أن مجموعة من هذه النصوص تبدأ برمز بيضوي من خطين داخله عمودان، فتوصل - وهو محق في ذلك- إلى أن هذا الرمز ليس إلا محرر الإله. لكن الاكتشاف الحقيقي جاء مرة أخرى على يد أحد الباحثين السويديين، وهو ليس "بلاد" المرهف الإحساس، بل آخر يدعى "موردتمان"، الذي ما أن لاحظ أن شخصية مرسومة على إحدى الأسطوانات الفضية كان يعتمر غطاء للرأس ويلبس حذاءً معقوف الرأس، حتى قال إن هذه الكتابة هي من كتابات آسيا الصغرى

(دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص ص٢٤٤- ٢٤٨). وحالما وقعت دراسة السويدي في يد "سايس" عرف أن الرموز التي أشار إليها "موردتمان" ليست إلا رموزًا خطية، لهيروغليفيات حثية. وهذه الخطوة دفعت "سايس" إلى الدخول في بداية القرن العشرين (١٩٠٥م) في مفاوضات مضنية مع الحكومة العثمانية للحصول على إذن للتنقيب في موقع "بوغازكي". لكن الرياح سارت عكس ما كان يتمناه "سايس" ويتوقعه، فبدون سبب واضح قرر العثمانيين بعد موافقتهم على طلبه تغيير موقع البعثة البريطانية إلى موقع "كركميش"، والسماح لبعثة ألمانية برئاسة "هونمو فينكلير"[١٨]. بالتنقيب في موقع بوغازكي وقد حققت البعثة الألمانية نجاحات واضحة، فقد توصلت من خلال تنقيباتها إلى أمرين مهمين، أولهما: أن موقع "بوغازكي" كان عاصمة الحثيين، وثانيهما: تأكد حقيقة عالمية اللغة البابلية. وهكذا استمرت أعمال التنقيب والدراسات الخاصة بهذه الرموز حتى عام ١٩١٤م، حين تمكن أحد الشباب الألمان وهو "بيدرجيخ غروزني"، الذي أرسلته ألمانيا لنسخ نقوش "بوغازكي" في قراءة أول جملة حثية وترجمتها إلى لغة أوروبية حديثة، معتبرًا إياها لغة

---

[١٨] أجد نفسي مضطرًا إلى نقل فقرة كتبها هذا الألماني في مذكراته اليومية، تبين بكل وضوح حيادية هذا المستشرق كغيره من العديد من المستشرقين:

"... تم كل شيء دون صعوبات تذكر، وكان بمقدورنا في اليوم الخامس أن نحتفل بوصولنا إلى بوغازليك، ولم يثر وصولنا اهتمامًا خاصًا - فقد ألف الناس هنا رؤية السواح. يضاف إلى هذا أن الفلاح التركي أسمى تربية من أن يقف متفرجًا بفضول معيب على ما يحدث خارجًا عن المألوف... فمن شأن هذه الظاهرة أن تكون سببًا في تحشد الجمهور لو حدثت في برلين، الأمر الذي من شأنه أيضًا أن يؤدي إلى تحرك قوات معتبرة من الشرطة. أما الإنسان الشرقي فإنه يرضع التربية الرفيعة الضمنية مع حليب أمه" (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٢٦٠).

هندوأوروبية بها رموز ومقاطع وكلمات سومرية وأكادية وحثية[١٩].

وعندما حل عام ١٩٣٣م، وهي سنة وفاة "سايس" رائد عمليات قراءة الرموز وأستاذ أجيالٍ من العلماء، قام خمسة من تلاميذه، الذين - يا للهول- خالفوا بكل جرأة آراء أستاذهم واستنتاجاته، بإعلان نتائج أبحاثهم ودراساتهم، التي أصبحت أساس قراءة هذه الكتابة الحثية وترجمتها، ولعله من المناسب الإشارة إلى أن هؤلاء التلاميذ العلماء كانوا من جنسيات مختلفة هي: الإيطالية، والألمانية، والسويدية، والتشيكية، والأمريكية.

---

(١٩) يجدر بنا الإشارة إلى أن دراسات واستنتاجات الألماني "بيتر ايينسين" - الذي نشر بكل نجاح "أسطورة جلجامش" في مجلدين ضخمين- قد أعادت الأبحاث والدراسات الحقيقية لمدة عقد من الزمن، فقد رأى أن الطريقة المثلى لفك هذه الرموز وفهمها هي صرف الاهتمام إلى البحث عن الدلائل اللفظية، بحيث يجب أولاً فهم اللوحة المكتوبة من خلال معطياتها الخارجية، ومن ثم تقديم مضمونها المحتمل على أساس تاريخي (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٢٥٦).

الفصل الثالث
الأبجدية

أولاً: الألفبائية

ثانيًا: الكتابة الأوجاريتية

ثالثًا: الكتابات الفينيقية

أولاً : الألفبائية :

تفرض طبيعة تطور الأشياء أسلوبها ومنهجها على حياة البشر، وهي، كما أوضحنا سابقًا، سنة من سنن الخالق، فكما بدأ الإنسان مزاولته للكتابة عن طريق الرسوم والرموز، وتدرج في هذا الخط حتى وصل إلى المقطعية، بفضل الأكاديين، أصبح من الضروري تطوير النظام الكتابي إلى نظام آخر أكثر مرونة وأسهل تعلمًا، إذ إن الأنظمة السابقة، التصويرية والمقطعية، لم تكن صعبة فحسب، بل إنها لا تحمل في سماتها ما يجعلها سهلة التعلم والإتقان.

وللوصول إلى هذا النظام، الذي يكون خاليًا من معوقات الأنظمة السابقة، فلا بد في تصورنا من توفر عوامل هامة هي: المجتمع، الإنسان، الهدف. فالمجتمع (أو لنقل البيئة) الذي توصل إلى الأبجدية عاش في الجهات الغربية من سوريا الكبرى، وتحديدًا في أوجاريت، وفينيقيا؛ بمعنى آخر بين حضارتين عريقتين لهما دورهما الواضح والبارز في الجدار الحضاري، وهما: الحضارتان الرافدية والمصرية، اللتان أثرتا وتأثرتا وتعاملتا، سياسيًا، وتجاريًا، وحربيًا، مع هذه المنطقة وشعوبها. بل إن الأمر أحيانًا وصل إلى أن تكون هذه المنطقة مسرحًا للقوى الدولية - آنذاك- في صراعاتها الحربية. وهكذا أصبح مجتمع هذه المنطقة مجتمعًا مختلطًا تمتزج فيه الثقافات المختلفة. فعلى سبيل المثال كثرت في مملكة أوجاريت الجاليات الرافدية والمصرية والحثية والحورية. لهذا لم تعد هذه المنطقة للصراع الحربي فقط، بل مسرح للتنافس الحضاري والتجاري. وفي مثل هذه البيئة ذات المجتمع المنفتح على الآخرين يكون التطور

الحقيقي.

وبالنسبة للإنسان فهو انعكاس لمجتمعه يتفاعل معه سلبًا أو إيجابًا، فإنسان ذلك المجتمع قد يكون الوحيد - آنذاك- المطلع على الثقافات المختلفة كافة، فوطنه يستقبل المئات من تلك المجتمعات المتباينة سنويًا، وهو يتصل بهم عن طريق التعامل التجاري، فالفينيقي سعيًا منه للتعامل التجاري وصل إلى شرق أفريقيا وغربها، وأوروبا حتى وصل إلى بريطانيا، بل توجد دلائل كتابية لتعامله مع البرازيل في أمريكا اللاتينية. لذا فهو إنسان مطلع مجرب متعلم. وبذلك يكون لدينا المجتمع (البيئة) والإنسان المؤهلان للتوصل في حالتنا هذه إلى الأبجدية؛ لكن ما الهدف الذي سعى إليه إنسان بلاد الشام لاختراع الأبجدية؟ ورغم صعوبة تأكيد هدف أو أهداف معينة، إلاّ أن هذه الأهداف التي تخطر على البال في مجتمع مختلط مطلع على أحوال العالم حوله آنذاك، هو رغبته في إيجاد وسيلة أو نظام كتابي، يجعل من التعامل التجاري والتواصل الحضاري أكثر سهولة ومرونة لتحقيق التكامل والتمازج الحضاري بين المجتمعات آنذاك.

والسؤال الهام، الذي يجب طرحه هو من أين استقى أصحاب هذا النظام الجديد أبجديتهم هذه؟ وبعد طرح هذا السؤال وتداوله بين المهتمين والدارسين، ظهرت خمس نظريات عرفتها ساحات البحث العلمي، منها بطبيعة الحال ما قبلته الغالبية، نظرًا إلى أن أصحابها ومؤيديهم قد أخذوا بالمنهج العلمي المقبول. وهناك النظريات التي رُفضت تمامًا من الدارسين، نظرًا لوقوع أصحابها ومؤيديهم في أخطاء علمية تضفي على نظريتهم عدم المصداقية.

والنظريتان المعروفتان باسم المسمارية والمصرية هما اللتان لقيتا التأييد، أو لنقل الموافقة من الدارسين، في حين أن النظريتين المعروفتين باسم الكريتية والقبرصية لم تحظيا، لضعفهما بالتأييد، ولا حتى القبول من المختصين، وهناك نظرية أخرى عُرفت باسم النظرية الحثية لاقت الرفض من المختصين، لكننا لا نرى إسقاطها من الاحتمالات المطروحة - انظر أدناه- .

ولعلنا نعرج أولاً على النظريتين المرفوضتين تمامًا: الكريتية المدعومة بشكل كبير من الباحث "أفنز"، التي تفترض أن الألفبائية انتقلت من كريت[٢٠] مع القبائل الفلسطينية، التي استقرت، بعد موافقة فرعون مصر آنذاك، في شمال فلسطين الحالية. وبهذه الطريقة - كما يعتقدون- انتقلت الألفبائية من كريت إلى الفينيقيين. أما الثانية القبرصية[٢١] فرأى أصحابها أن الألفبائية ذات أصل قبرصي وأبرز مؤيدي هذه النظرية هو براتويوس (Prätorius, 1909, pp.189-98). وكان اعتماد أصحاب هاتين النظريتين على التشابه الواضح في الشكل الخارجي لعدد من رموزها مع حروف الألفبائية، وهو من الأسباب التي أدت إلى رفضهما، إذ إن التشابه الخارجي إن لم يكن متطابقًا في القيمة الصوتية، وموافقًا للتسلسل التاريخي، فهو تشابه لا يُعتد به، لأن اختيار الإنسان للرموز والعلامات يأتي من الأشياء المحيطة بالبيئة، والتي يمكن لأي إنسان

---

[٢٠] تتمتع كريت بمستوى حضاري عريق ومتميز، أدى شعبها دوره الحضاري الواضح في الجدار الحضاري الإنساني، فقد أثمرت حفريات "إيفانز" الأثرية عن خرائب قصر كنوسوس (بعلبكي، ١٩٨١م، ص٣٤)، عن عدد كبير من النقوش التصويرية العائدة إلى الألف الثالث قبل الميلاد (Chadwicks, 1987, pp.33- 49).

[٢١] توجد علاقة وثيقة بين الكتابتين الكريتية والقبرصية، لهذا الموضوع انظر (Chadwicks, 1989, pp.56- 6).

أخذها وتبنيها. لذا فإن هذا التشابه بينهم كان عن طريق المصادفة البحتة ؛ فضلاً عن أن أقدم ظهور واستخدام للقبرصية يعود إلى القرنين السابع أو السادس قبل الميلاد. كما أن وصول القبائل الفلسطينية (من كريت) إلى فلسطين كان في حدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد، في حين أن دراسة درايفر المتميزة (Driver, 1976, p.127)، قد أثبتت أن الألفبائية أقدم بعدة قرون من تاريخ وصول هذه القبائل إلى أرض كنعان. وهذا بحد ذاته كافيًا لسقوط هذا الرأي ؛ فالكتابة الألفبائية، التي تعود إلى ما قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد تتمثل في التالي :

أولاً : عشر مخطوطات قصيرة جدًا (أو لنقل مخربشات) تعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد، جاءت من مناطق مختلفة من فلسطين، عُرفت باسم كتابات فلسطين البدائية (Driver, 1976, pp.97- 102).

ثانيًا : كتابات أوجاريت ذات الشكل المسماري والمبدأ الألفبائي، التي تعود إلى ما قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وتحديدًا إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

ثالثًا : الكتابات السينائية، التي تعود أيضًا مثل الأوجاريتية إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد (هبو، ١٩٨٤م، ص ص٧٦- ٧٧). ولهذا لا يصح من الناحيتين العلمية والمنطقية أن نقارن الأقدم بالأحدث، ونقول- بكل بساطة- : إن الأقدم تفرع وتطور من الأحدث.

وبالنسبة للنظرية المعروفة بالحثية، والتي استبعدها كليًا العديد من الدارسين (بعلبكي، ١٩٨١م، ص٤١)، فواضعها هو العالم الإنجليزي المشهور "سايس"، الذي يرى أن واضع الألفبائية كان متأثرًا بالحثية

التصويرية، باعتبار - كما يقول منتقدوه- أنه وقع في أخطاء ثلاثة:

أولها: إغفاله أن الحثية مقطعية.

ثانيها: وهو الأهم أن الحثية هندوأوروبية.

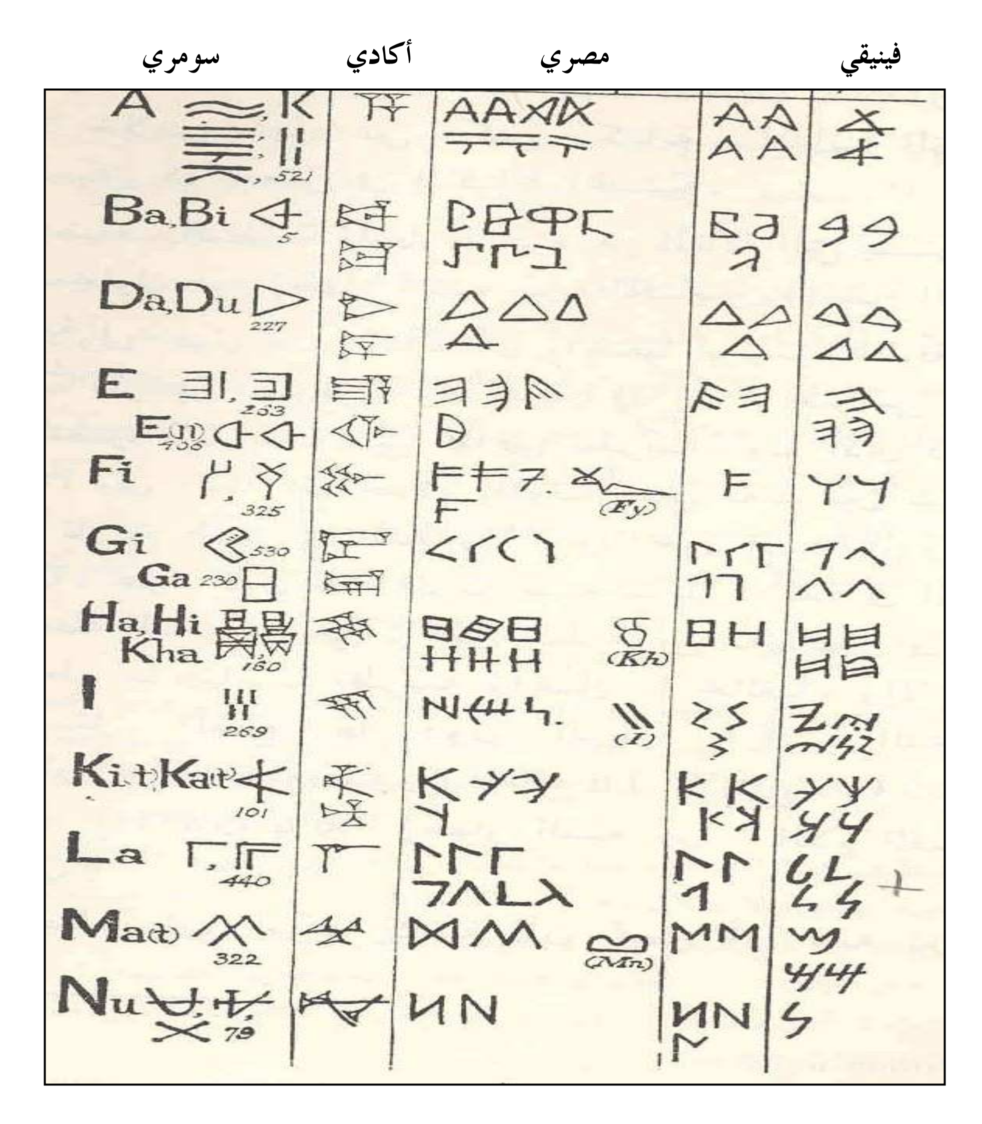
ثالثها: الخطأ التاريخي الذي وقع فيه "سايس" باعتباره الحثيين ساميين غربيين، وأنهم الشعب الأموري.

لكننا نرى عدم الاستعجال برفض هذه النظرية اعتمادًا على أن الحثية مقطعية، وأنها هندوأوروبية، نظرًا لأن الحثية وهي لغة هندوأوروبية استفادت من المسمارية البابلية السامية خطها ورموزها المسمارية، بل حتى الكثير من المقاطع. كما أنها، وهي كذلك، قد تبنت الخط الديني المصري (الهيروغليفي) ليكون خطها الهيروغليفي الحثي، والمصرية - بكل تأكيد- ليست هندوأوروبية؛ فضلاً عن أن الألفبائية كنظام بدأ يتشكل في الفترة التاريخية التي تواجد الحثيون فيها بكل قوة ووضوح في المنطقة. إمّا أن نأخذ على الخطأ التاريخي الذي وقع فيه "سايس"، بعدِّه الحثيين هم الأموريين ذريعة لنفي هذه النظرية فهو في تصوري من الناحية العلمية غير مقبول ولا يعتد به.

والنظريتان اللتان وجدتا بعض القبول والترجيح هما المسمارية، والمصرية التي دُعمت بشكل واضح بالكتابتين السينائية المبكرة، وكتابة جبيل شبه الأبجدية (انظر أدناه). وبالنسبة للمسمارية، فلعل أهم داعميها وأنصارها هم "ديك" و "زيمرن و "ودل"، فالأول عدّها مأخوذة من الخط المسماري الآشوري المحدث، والثاني أكد معلومة الأول بملاحظته الذكية

على أن الترتيب الأبجدي لبعض أسماء الحروف الألفبائية مشترك بين الفينيقية والبابلية (بعلبكي، ١٩٨١م، ص٢٩). في حين كان الأخير "ودل" يرى أنها اشتقت مباشرة من المسمارية الأكادية (Waddell, 1927, pp.1-4). لكن من اعترض على هذا الرأي، أخذ على أصحاب هذه النظرية اعتمادهم على التشابه في الشكل الخارجي؛ فالتشابه الخارجي - في تصورهم- جاء عن طريق المصادفة. لكن واقع الحال - في تصورنا- يدفعنا إلى عدم أخذ هذا الاعتراض أمرًا مسلمًا به، فالعلاقة القوية بين مستخدمي الرموز المسمارية (الأكادية- البابلية) وأبناء هذه المنطقة موغلة في القدم، فالتأثير والتأثر بينهما لا نقول إنه وارد، بل هو حقيقة ثابتة، فمن المعلوم هجرة القبائل والشعوب للاستقرار إما من بلاد الرافدين إلى سواحل بحر مغرب الشمس (البحر الأبيض المتوسط)، أو العكس من سوريا إلى بلاد الرافدين كما فعل الأموريون والآراميون وغيرهم؛ وعلينا ألا ننسى أن المسمارية الأكادية في الفترة البابلية، كانت لغة عالمية تجد نصوصها في كل مراكز القوى الدولية. لذا فالتشابه في تصورنا بين الأشكال المسمارية مع الألفبائية لم يكن وليد المصادفة، دليلنا الأوجاريتية الألفبائية فرموزها مسمارية. أما اعتراضهم الثاني فكان حول القائمة التي وضعها "ودل"، والتي أراد بها بيان التشابه الخارجي بينها (انظر الشكل رقم ١١)، فكانت هذه القائمة - وهو أمر صحيح- انتقائية بمعنى أن "ودل"، بغضِّ النظر عن التفاوت الزمني، يختار الرمز المشابه لذلك الحرف في الألفبائية، فعلى سبيل التمثيل رمز الألف المسماري له تأريخ طويل في التطور، لكن "ودل" اختار الرمز المشابه

للألف الألفبائي متجاهلاً التفاوت الزمني ؛ وكذلك فعل عند اختياره للمقاطع ، فقد أَخذ المقطع المؤكد لوجهة نظره متناسيًا المقاطع الأخرى للرمز نفسه ، فمثلاً للمقطع ذي الأصوات (لِ، لَ، لُ) أشكال مختلفة ، فعندما يُقرأ "ل"ِ فهو يختلف في شكله عندما يُقرأ "لُ" ، ... وهكذا. لكن "ودل" ، مرة أخرى اختار المقطع الذي يشابه في شكله الخارجي حرف اللام الألفبائي غاضًا الطرف عن الأشكال الأخرى لهذا المقطع. ورغم وجاهة هذا النقد أو لنقل الاعتراض ، إلا أننا عندما نأخذ في الحسبان أن بعض النصوص الأدبية والأسطورية ، التي تعود إلى فترات تاريخية قديمة قد أعيد استنساخها في فترات أحدث ، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر العديد من هذه الأعمال التي تعود إلى العصرين البابلي القديم (٢٠٢٠- ١٨٥٠ق.م) ، أعيد استنساخها في مرحلة ما بعد العهد البابلي (١٦٠٠- ١٠٠٠ق. م) ، وغيرها من المراحل الأخرى ، وهذا يعني أن الكثير من هذه الرموز القديمة ، كانت متداولة ومعروفة في فترات تاريخية أحدث. نعم ، كان هذا العلم محصورًا بين الكتبة وهم مجموعة أو فئة قليلة ، لكننا هل نتخيل أن هذا التطور إلى الأبجدية قد حدث دون تدخل مباشر أو غير مباشر من هؤلاء الكتبة؟ لا أعتقد ذلك!



الشكل رقم (١٠)

النظرية المسمارية في أصل الألفبائية

(نقلاً عن بعلبكي، ١٩٨١م، ص٣٢)

هذا ما كان بشأن النظرية المسمارية، لكن ماذا كان بشأن النظرية الأخرى التي أطلق عليها اسم النظرية المصرية، والتي تعود تاريخًا إلى ما قبل الميلاد، حيث أشار بعض المؤرخين اليونانيين إلى أن أصل الألفبائية كان مصريًا (Driver, 1972, pp.128- 9)، فلم تلاقِ الرواج فحسب، ولكنها حظيت باستحسان غالبية المهتمين بهذه النوعية من الدراسات. وحيث إنها الأكثر رواجًا بين الدارسين فقد تعددت الآراء والنظريات عن الكيفية التي جاءت بها الألفبائية من المصرية القديمة، وحتى نسهل على القارئ، فإننا سنعتبر أن نشوء الألفبائية كان عن طريقين مختلفين، أولهما: الطريق المباشر، وثانيهما: الطريق غير المباشر، وذلك على النحو التالي:

١ - الطريق المباشر:

يعتبر أصحاب هذه النظرية أن الألفبائية جاءت مباشرة (بدون وسيط) من المصرية القديمة، لكنهم اختلفوا في تحديد نوع الخط المصري القديم، الذي جاءت منه الألفبائية. فهناك مجموعة منهم ترى أنها جاءت مباشرة من الخط الرباني (الهيروغليفي)، لعل أشهرهم الفرنسي "هاليفي" (Halévy, 1901, pp.356-70)[٢٢]، الذي استنتج بعد مقارنته للأحرف الفينيقية بالرموز ذات الصوت الواحد من الخط الرباني، أن أحد عشر شكلاً (حرفًا) فينيقيًا من الحروف الاثنين والعشرين تعود إلى أشكال من الخط الرباني (الهيروغليفي)، في حين أن الأحد عشر حرفًا الأخرى أُخذت من الأحد عشر حرفًا الأولى، التي جاءت مباشرة من الخط الرباني، وذلك بعد إجراء تعديلات واضحة على أشكالها (انظر الشكل

---

[٢٢] من أشهر من كان يرى أن الفينيقية جاءت من المصرية الفرنسيان شامبليون، ولينورمانت، لكن الأخير تراجع لاحقًا عن رأيه هذا (بعلبكي، ١٩٨١م، ص٤٢).

رقم ١٢). أما الفريق الآخر فيظن أن الألفبائية جاءت مباشرة من الخط الكهنوتي (الهيراطيقي) (انظر الشكل رقم ١٣)، التي قال بها الفرنسي دي روجيه، وهو تلميذ لينورمانت(De Rougé, 1984). وفضلاً عن التشابه الخارجي بين الحروف الفينيقية وأشكال الرموز المصرية القديمة، فقد أضاف عدد من الدارسين حججًا تدعم هذه النظرية منهم سيث وهيلك (Sethe, 1926, pp.88-161; Heclk, 1972, pp.41-5)، وهي:

١ - أن الخط الرباني (الهيروغليفي) خطٌ تصويري، كما أن الخط الفينيقي في بداياته كان تصويريًا.

٢ - أن الكتابتين الفينيقية والمصرية القديمة (الخط الرباني) كانتا تدونان في أقدم مراحلهما على قطع من الحجارة أو المعدن، كما كانتا ترسمان على الأواني الخزفية.

٣ - أن الكتابتين تتجهان في الغالب من اليمين إلى اليسار، علمًا بأن المصرية القديمة تتجة (في بعض نقوشها) من اليسار إلى اليمين، ومن الأسفل إلى الأعلى، ومنها ما يبتدئ في نقطة وسط بين اليمين واليسار، وهذا الأسلوب في الكتابة معروف في النقوش "الثمودية" التي تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد (الذييب، ١٩٩٩م، ص٩)، وفيما عدا الأسلوب الأخير الذي يبتدئ في نقطة وسط بين اليمين واليسار فيكون الاتجاه مزدوجًا إلى الطرف الأيمن من جهة وإلى الطرف الأيسر من جهة أخرى، فهو في المصرية على سبيل التناسق، ولكنه ليس كذلك في الثمودية.

٤ - أن الكتابتين تظهران الحروف الصامتة، وتهملان الحروف الصائتة.

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
	أ		چ			ح
	ب		ب			چ
	هـ		هـ			ج
	ك		ج			م
	ن		ن			ز
	س		ز			ص
	ع		ق			ف
	ف		ف			و
	ر		ر			ل
	ش		ش			د
	ت		ت			ط

الشكل رقم (١١)

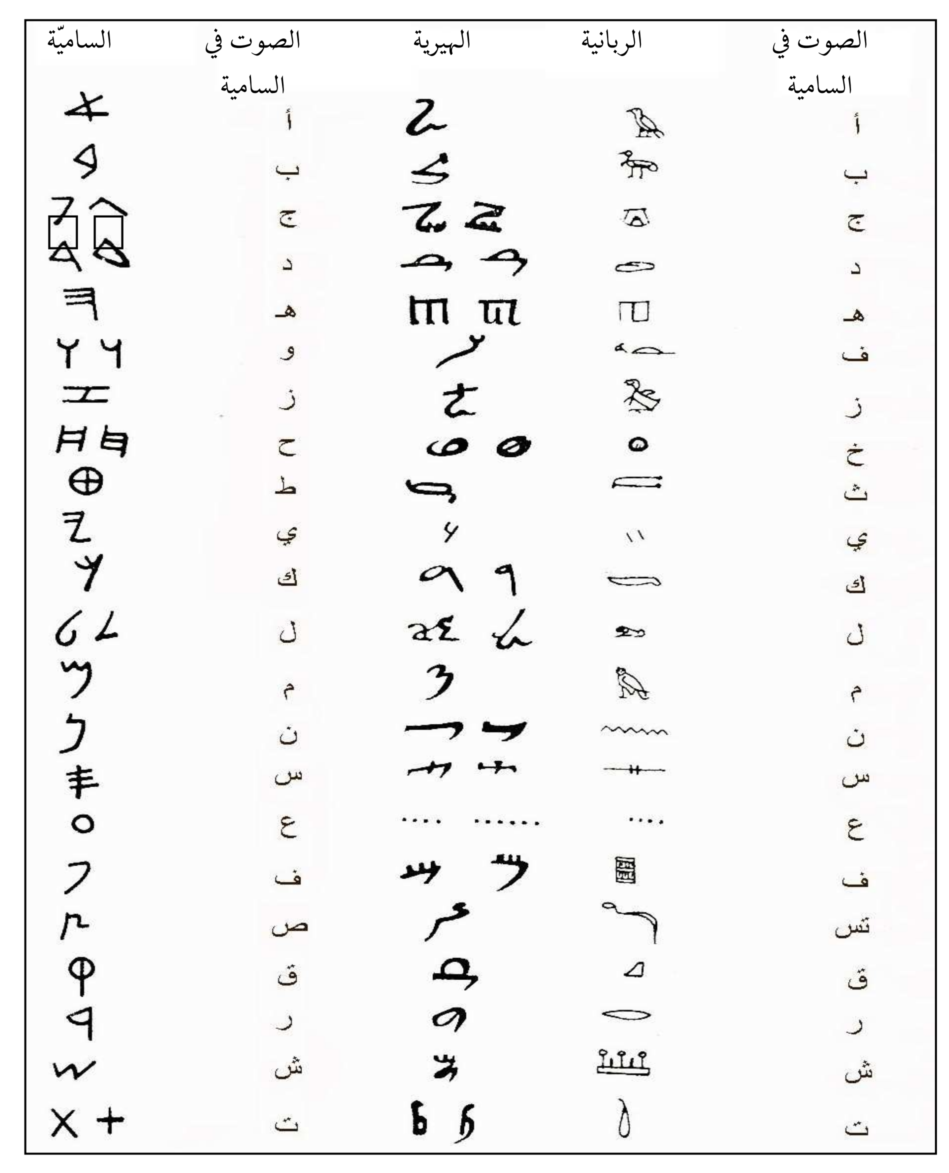
نظرية هاليفي في أصل الأشكال السامية القديمة

١ - الشكل السامي المأخوذ من الخط الرباني (الهيروغليفي). ٢ - صوته.

٣ - الشكل الرباني (الهيروغليفي). ٤ - صوته.

٥ - الشكل السامي القديم قبل تعديله.

٦ - الشكل السامي القديم بعد تعديله. ٧ - صوته.



الشكل رقم (١٢)

النظرية الهيرية في أصل الألفبائية السامية

(نقلاً عن بعلبكي، ١٩٨١م) (بتصرف)

٢ – الطريق غير المباشر:

جاء اكتشاف نقوش من منطقتي سيناء في مصر، وجبيل في لبنان ليجعل بعض الدارسين يؤكد العلاقة القوية بين الألفبائية والمصرية، وذلك عبر نقوش هاتين المنطقتين. وسنبدأ بالنقوش السينائية، وهي مجموعتان من النقوش يصل مجموعهما إلى خمسة وأربعين نقشًا قصيرًا عُثر عليها في موقع سرابيط الخادم، الواقع، جنوب شبه جزيرة سيناء، وتحديدًا في خرائب معبد هاتور (حتحور). المجموعة الأولى وعددها أحدَ عشر نقشًا يعود اكتشافها إلى الباحث الأثري فليندرز بيتري، ذلك في عام ١٩٠٤- ١٩٠٥م. أما المجموعة الثانية فهي أربعة وثلاثون نقشًا، أو لنقل مخربشة، عُثر عليها بعد عقدين من اكتشاف المجموعة الأولى، وذلك بين عامي ١٩٢٧- ١٩٣٥م، اتسم غالبيتها بالتشوه والنقص في بعض أجزائها.

وقد لاقت المجموعة الأولى منها خصوصًا، اهتمامًا واضحًا من العديد من الباحثين[٢٣]، لعل أبرزهم العالم البريطاني جاردنر، الذي توصل بعد أحد عشر عامًا من اكتشافها، أن هذه النقوش - نظرًا لأن رموزها لا تتعدى الثلاثين رمزًا (وقيل عشرين أو سبعة وعشرين) - قد اتبعت النظام الألفبائي وليس المقطعي، فضلاً عن أن لغتها سامية (Gardiner, 1916, p.14)، بل أن جاردنر قرأ أحد هذه النصوص القصيرة

---

[٢٣] تعرض لهذه النقوش العديد من العلماء والدارسين، ومنهم كولوي، وسيث، وألبرايت، وفاندن براندن، ودرايفر، وبعلبكي (Cowley, 1916, pp.17- 21; Sethe, 1926, pp.48-9; Albright, 1950, pp.12- 13؛ بعلبكي، ١٩٨١م، ص ص٢١، ٢٨؛ Branden, 1958, pp.361- 405).

هكذا: **ب ع ل ت** أي "بعلة" (انظر الشكل رقم١٤)، والمقصود بالبعلة هنا اسم المعبودة التي يقابلها في الديانة المصرية "هاتور" (Gardiner, 1916, p.15). أما تأريخ هذه المجموعة، فقد أعادها فليندرز بيتري إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد (Petrie, 1906, pp.129- 32)، فيما رجح جاردنر أنها تعود إلى ما بين القرنين الثامن عشر أو السابع عشر قبل الميلاد (Gardiner, 1916, p.13)، ورأى درايفر أنها تعود للفترة الواقعة ما بين القرنين السابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد (Driver, 1976, pp.98- 9)، لكن جلب يعيدها إلى الفترة ما بين القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد (Gelb, 1965, pp.122- 25). وهكذا اعتبر "جاردنر" هذه النقوش (السينائية) المرحلة المتوسطة، أو لنقل الانتقالية، بين الكتابة المصرية القديمة (بخطها الرباني)، والألفبائية السامية، وأسماه الخط السامي الأول (Gardiner, 1916, p.12, 14)[٢٤]. وهنا يتبادر إلى الذهن

---

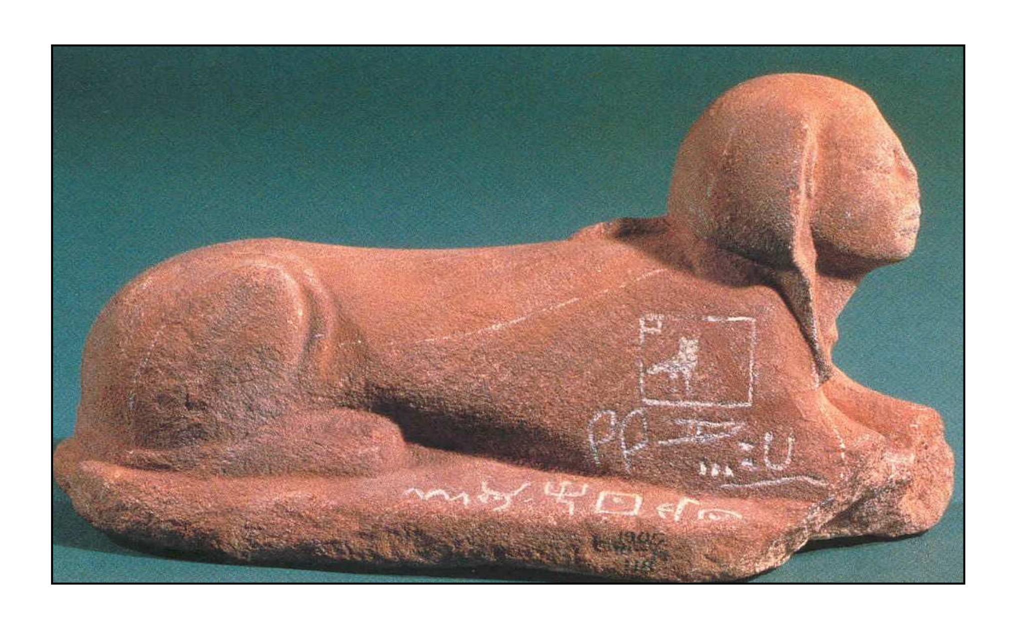
[٢٤] أود هنا لفت النظر، رغم تأكيدي على أبجدية النقوش السينائية، أن اعتبارها الخط السامي الأول أو الحلقة الوسطى بين المقطعية والأبجدية، أمر يصعب التسليم به بسهولة، فإمكانيات الساميين في هذا الموقع من الناحية الثقافية ضعيفة جدًا، هذا إن أخذنا بالرأي القائل أنهم من العمال، الذين جلبوا للعمل في مناجم الفيروز. إذ كيف يطور هذا النظام الابداعي عمال مناجم خلفيتهم الثقافية غير واضحة. وإن رجحنا - وهو ما نراه- أن هؤلاء ليسوا عمالاً، بل كهنة يعملون في معبدِ "هاتور" (أو ب ع ل ت)، لخدمة المسافرين من الساميين الذين يتعاملون مع مصر؛ فمن غير المنطقي اعتبار هذه النصوص القصيرة جدًا، والتي يصل عددها إلى أحد عشر في المجموعة الأولى، هي أساس الأبجدية، والمرجح أن هؤلاء الكهنة الساميين أحضروا أبجديتهم معهم من فينيقيا إلى سيناء. ولا يمنع هذا من ظهور واضح لتاثير الخط الرباني المصري (الهيروغليفي)، فالتأثير المصري واضح وبيّن على الحضارة الفينيقية.

يجدر بنا الإشارة إلى أن ليبوثيتش، يعتبرهم من مدين (نقلاً عن درايفر Driver, 1976, pp.96- 7). وأن درايفر حدد لهجة هذه النقوش، واعتبرها لهجة كنعانية (Driver, 1976, p.97).

سؤالان مهمان، الأول: من القوم أو الأقوام الذين كتبوا هذه النقوش القصيرة؟ والثاني: ما الأسلوب أو الطريقة الذي اتبعه هؤلاء لتحويل الخط الرباني إلى ألفبائي؟ والإجابة عن السؤال الأول لا تحتاج إلى تبسيط فإذا اتفقنا أن اللغة التي كُتبت بها هذه النقوش سامية، فلا بد - والأمر كذلك- أن يكون كاتبيها ساميون لكن العلماء - كالعادة- اختلفوا في تحديد موطنهم؛ فعلى سبيل التمثيل، يرى كولوي أنهم قوم بدائيون (من البدو) جاءوا إلى مصر بطلب من السلطات المصرية، من جنوب فلسطين للعمل في مناجم الفيروز في سيناء (Cowley, 1929, p.202). أما سبرنجلنج، فيرى أن موطنهم هو أدوم الواقعة بين البحرين الميت والأحمر، ولذلك يطلق على لغتهم اسم اللغة السعيرية، ويسميهم السعيريين (Sprengling, 1931, pp.50- 7). ويعتقد ألبرايت أنهم من بقايا الهكسوس (Albright, 1969, p.12)[٢٥].

---

[٢٥] من المعلوم أن اسم الهكسوس مشتق من التسمية المصرية "هك هست"، التي تقرأ أيضًا "هيكا خاسوت" وتعني "حكام البلاد الأجنبية"، ترجمها المؤرخ مانيتون "بملوك الرعاة"، لأن **هــك** تعني "المقدس"، و"سوس" تعني في اللغة الدارجة "الراعي"؛ وكان يوسيفوس المؤرخ اليهودي، فسرها أيضًا بمعنى "الأسرى الرعاة"، مشيرًا إلى أن **هــك** بالمصرية تعني "الأسير" (جاردنر، ١٩٨٧م، ص١٧٨). أما المؤرخون المحدثون فأحدهم وهو الإنجليزي جاردنر، ١٩٨٧م، ص١٧٨، يظن أن هكسوس كلمة مشتقة من الاصطلاح "حيق- خاسة"، أي "رئيس البلد الأجنبية الجبلية". لكن الماجدي، ٢٠٠٥م، ص ص٨٨- ٨٩، ربط بين العنصر الثاني "ست" في التسمية المصرية وإله الأموريين القومي "ست"، وفسر الاسم بمعنى "أمراء السوت"، أو "أمراء الشوتو"، ورغم طرافة استنتاج الماجدي، إلا أنه يحتاج إلى مزيد من الأدلة الواضحة، فحضارة الهكسوس وأسلوبهم يختلف كليًا عما نعرفه عن الأموريين وحضارتهم.



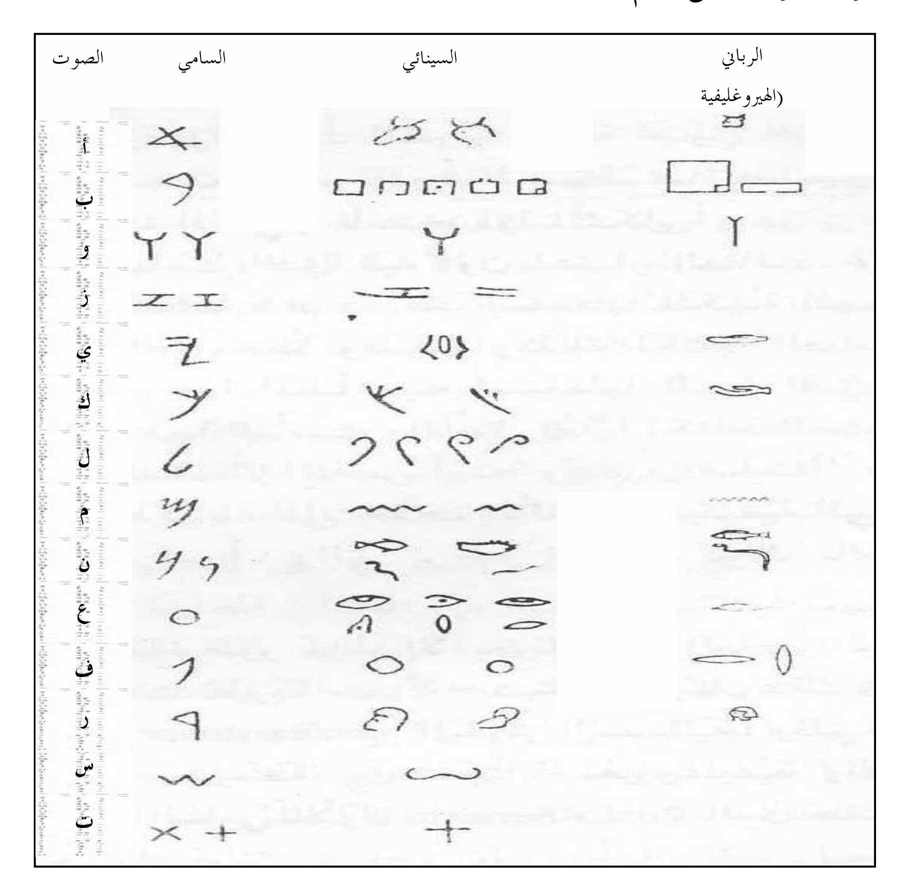
الشكل رقم (١٣)

صورة الأسد

(**نقلاً عن** Robinson, 1990, p.160)

أما الكيفية التي استخدمها هؤلاء القوم في كتابة نصوصهم، فيرى جاردنر أنهم استخدموا المبدأ الأكروفوني أو الاجتزائي، وهو انتزاع الجزء الأول من اسم شكل كتابي، واستخدام هذا الشكل بعد ذلك ليمثل هذا الجزء أينما وقع (Gardiner, 1916, p.14). وبهذه الطريقة حصل هؤلاء الكتبة على صوامت رمزوا إليها بتلك الأشياء بعد تبسيطها؛ فعلى سبيل التمثيل رسموا صورة البيت عند المصريين وأسموه "بيت"، ثم اجتزؤوا الصوت الأول من هذه الكلمة وهو "الباء" واعتبروه صوتًا (اسمًا) لهذا

الشكل فأصبح لديهم حرف "الباء" ؛ وهكذا فعلوا ببقية الأحرف الإحدى عشر (انظر الشكل رقم ١٤).



الشكل رقم (١٤)

مقارنة الأشكال الربانية (الهيروغليفية) والسينائية والسامية

(نقلاً عن بعلبكي، ١٩٨١م، ص٥٠)

وبالنسبة للنقوش الأخرى، التي جاءت - كما قلنا- من مدينة جبيل الواقعة شمال بيروت، فهي مجموعة تبلغ عشرة من النقوش، محفورة على لوحات بعضها من البرونز والآخر من الحجر، ويعود

اكتشافها إلى الفرنسي "موريس دونان"، أثناء تنقيباته الأثرية في هذا الموقع، إذْ وُفِّقَ "دونان" بداية من موسم ١٩٢٩م في اكتشاف هذه النقوش؛ وللفرنسيين "دونان"، و "إدوارد دروم" جهد واضح في لفت نظر المختصين والمهتمين إلى أهمية هذه المجموعة من النقوش. فالأول: قام بعد دراستها وتمحيصها بنشر استنتاجاته عليها، وذلك بعد ستة عشر عامًا من بداية اكتشاف أول نصوصها، مشيرًا إلى عددٍ من نتائجه:

أولاً: أطلق على هذه النقوش اسم الخط الهيروغليفي (الرباني) الزائف، وذلك بسبب التشابه الواضح بين رموز هذه النقوش والخط الرباني، فقد رأى أن خمسين شكلاً من هذه الهيروغليفية الزائفة تعود إلى المصرية القديمة، منها خمسة وعشرين شكلاً جاءت - كما يقول- من الخط الرباني المصري، والخمسة والعشرين الأخرى مستوحاة من الخط الرباني (الهيروغليفي) المصرية (انظر الشكل رقم ١٥).

ثانيًا: عدّها تتكون من مئة وأربعة عشر شكلاً، صنف ستين شكلاً منها فقط، فهناك واحد وعشرون تعود لأشكال حيوانية، وثلاثة عشر شكلاً ذات أشكال نباتية، وشكلان فقط للماء والنجوم، أما الأشكال التي اعتبرها ذات علاقة بالأدوات المختلفة والأخرى فقدرها باثنين وثلاثين شكلاً، ستة منها أشكال ذات علاقة بالعبادات، أمّا الأشكال المتبقية وعددها ثمانون شكلاً فكانت أشكالاً هندسية، وأخرى لم يتمكن من تحديدها.

ثالثًا: أن هذه الكتابة تحتوي على علامات تصويرية، وكذلك الأشكال

الدالة على أصوات مقاطع لا تختص بكلمة دون أخرى.

رابعًا: إشارته - وذلك للربط بين الهيروغليفية الزائفة (جبيل)، والسامية- الألفبائية إلى أنهما يقرءان من اليمين إلى اليسار، وأنهما يستخدمان في بعض نصوصهما الخط العمودي الصغير للفصل بين كلمات السطر الواحد (بعلبكي، ١٩٨١م، ص٥٥).

خامسًا: أرجع هذه النقوش من الناحية التاريخية إلى الفترة الواقعة فيما بين القرنين العشرين والرابع عشر قبل الميلاد (٢٠٠٠- ١٤٠٠ق. م)، فقد أرخ النقش الصغير الذي قرأهُ بأسلوب المحراث إلى الألف الثاني قبل الميلاد (٢٠٠٠ق. م)، في حين رأى أن النقش الذي سُمي بنقش "**أ س د ر و ب ل**"، يعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. أما النقش المشهور، وهو نقش "شفط بعل" فأعاده إلى القرنين الثامن عشر أو السابع عشر قبل الميلاد (Dunand, 1945, pp.146-51).

أ ب ج د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت

ذ خ ظ غ ض ت

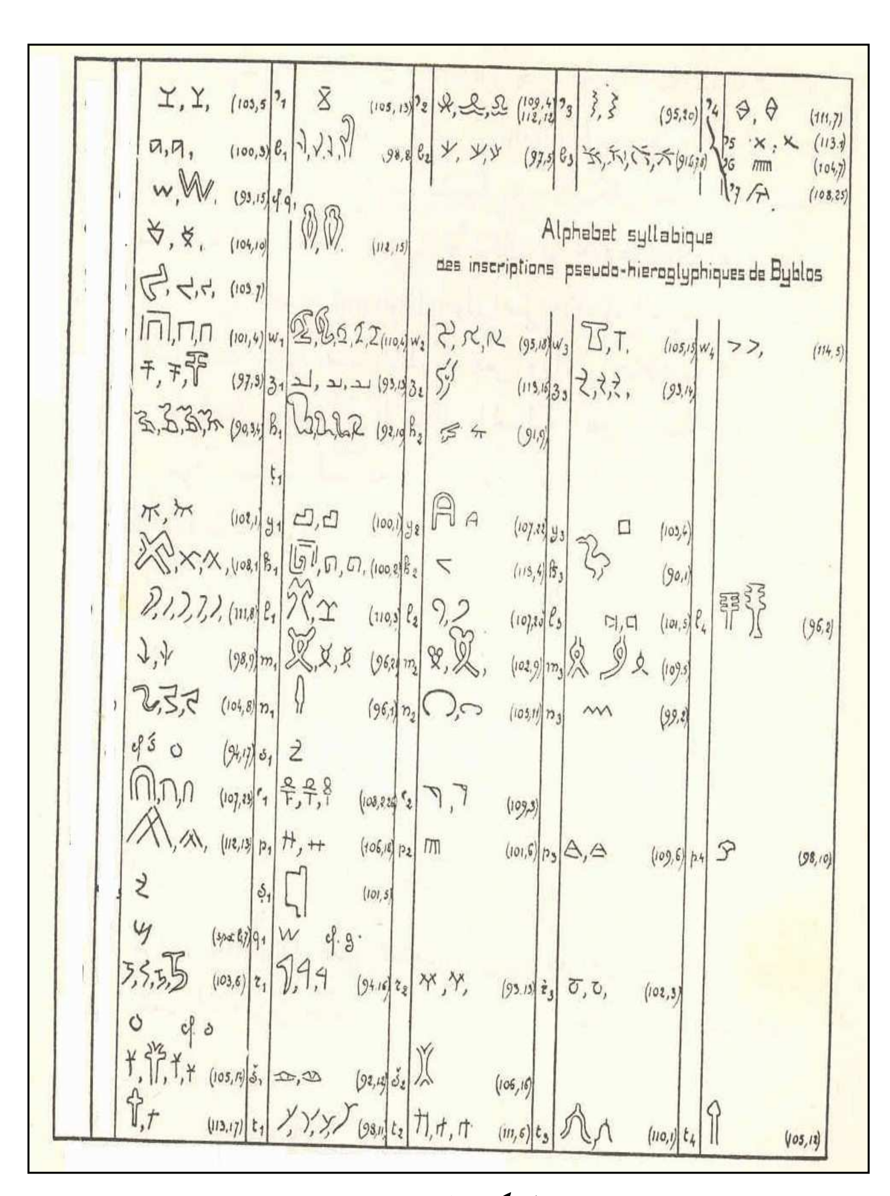
الشكل رقم (١٥) نظرية دونان في أصل الألفبائية

(نقلاً عن بعلبكي، ١٩٨١م، ص٥٦) (بتصرف)

١ - مقارنة الأشكال الجبيلية بالأشكال السامية الجنوبية.

٢ - مقارنة الأشكال الجبيلية بالأشكال السامية الشمالية.

المهم بعد أن نشر "دونان"، استنتاجاته وآراءه تلقفها الفرنسي الآخر "دروم"، الذي أخذ في الحسبان آراء "دونان"، فترجم هذه النصوص لأول مرة، لكنه خالفه في بعض استنتاجاته، فمثلاً أرخّها من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، واعتبر رموزها لا تتعدى المئة رمز (انظر الشكل رقم ١٦). لكن أبرز نتائج "دروم" تحديده للقيمة الصوتية لهذه الأشكال، في حين أن "دونان" اعتمد على التشابه الخارجي، بغض النظر عن القيمة الصوتية للشكل (Gelb, 1965, pp.157-8). وبخلاف بعض الهنات التي أشار إليها عدد من الدارسين فإن أبرز ما يجب التوقف عنده بالنسبة للنظرية السينائية، الفترة الزمنية لهذه النقوش السينائية، والواقعة ما بين القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد، وفترة الألفبائية الأبجدية - إن أخذنا بأنها تعود إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد- فإن هذه الفترة التي لا تتعدى قرنين قد لا تكون كافية لتطور الأشكال. أما النظرية الأخرى (نقوش جبيل)، فلعل أوضح عيوبها عدم توافق القيمة الصوتية بين بعض أشكال الهيروغليفية الزائفة وحروف الألفبائية، فمثلاً شكل الصوت "ع" في الألفبائية يعطيه "دروم" صوت ال "**س**".



الشكل رقم (١٦)

الألفبائية المقطعية الجبيلية عند دروم

(نقلاً عن بعلبكي، ١٩٨١م، ص٦٤)

وبعد هذا العرض الموجز للنظريات حول أصل الألفبائية، أرى إختزال وجهة نظري حول هذا الموضوع بتصوري أن الأبجدية كنظام قد تأثر تأثرًا واضحًا بالكتابات واللغات المعاصرة، مثل الخط واللغة الربانيين (الهيروغليفي)، والأكادية بمختلف لهجاتها، فضلاً عن الحثية بنوعيها الهيروغليفي والمسماري. فالشعب الفينيقي كان على علاقة واضحة بشعوب بلاد الرافدين وحكوماتها وأرض الكنانة وآسيا الصغرى، وقد أخذ من كل هذه اللغات والكتابات ما ساعده على التوصل إلى النظام الأبجدي؛ نعم إن بعض مظاهر الأبجدية كانت معروفة في الخط الرباني المصري القديم، وغيره، كما حاول عبدالله، ١٩٩٥م، ص ص١٣٩- ١٦٤ جاهدًا، إثباته غاضًا الطرف عن أمرين مهمين:

الأول: أن الكلمات التي استخدم فيها النظام الأبجدي في المصرية القديمة هي في الكلمات الدخيلة (الأجنبية) (بعلبكي، ١٩٨١م، ص٤٨).

الثاني: أن النظام الأبجدي يجب أن يمثل كل رمز فيه صوتًا واحدًا، وهذا ما تفتقده المصرية، ونحن نتفق مع ما أشار إليه نور الدين، ١٩٩٨م،

ص٦، من أن المصرية - في بعض مظاهرها- شبه أبجدية؛ وهذه المظاهر الأبجدية أيضًا تظهر في الأكادية بمختلف لهجاتها، أقول: نعم، إن هذه المظاهر ذات الصلة بالنظام الأبجدي نجدها متناثرة هنا وهناك في هذه الكتابات، لكن الشعبين الفينيقي والأوجاريتي، بخطه المسماري، لهما فضل التوصل للأبجدية؛ لهذا علينا أن نقدم نبذة قصيرة عن هاتين الكتابتين على النحو التالي:

ثانيًا: الأبجدية الأوجاريتية:

بعد سنتين من اكتشاف مزارع سوري لقبر في مزرعته، وسنة من بداية الحفريات الأثرية في عام ١٩٢٩م، تحت إدارة الفرنسيَّيْن شيفر، وتشنت (شيفر، ١٩٨٠م، ص ص١٣- ١٩)، توصل ثلاثة علماء أوربيين، هم الألماني هانز باور[٢٦]، (Bauer, 1932, Bauer, 1930)، و الفرنسيان إتيبن دورم (بعلبكي، ١٩٨١م، ص٨٩)، وشارل فيرولو (Virolleaud, 1937, pp.128- 51) ، - إلى فك رموز هذه الألواح الطينية وعلاماتها، التي لم تكن معروفة قبل هذا التاريخ. والواقع أن هذا الإنجاز يُعتبر أسرع عملية فك وقراءة رموز وحروف لغة قديمة حصلت حتى يومنا هذا. إن نجاح هؤلاء العلماء - رغم أن كل واحد منهم كان يعمل دون علمه بالآخر - قام على أساس افتراضهم الموفق بأن هذه الكتابة هي ألفبائية، وبأنها سامية اللغة (بعلبكي، ١٩٨١م، ص٩٠). وبعد هذا النجاح المذهل دخل الدارسون في جانب آخر من دراسة هذه الكتابة الفريدة في نوعها، فهي ألفبائية مكتوبة بأشكال مسمارية، لذلك فهي شمالية غربية، لكونها ألفبائية، وتشبه الأكادية في كونها مسمارية، ولهذا تعددت آراء الدارسين ومقترحاتهم لهذه الكتابة (على سبيل المثال: انظر Driver, 1976, pp.148- 52; Robinson, 1995, pp.162- 3; Sivan, 1997: Gordon, 1965; Healey, 1990, pp.19- 24). والتي سنختزلها في ثلاث

---

(٢٦) درس اللاهوت وعلوم الطبيعة، كان لديه اهتمام واضح بعلم الرياضيات وعلمي الفلك والحيوان، وقد لاحظ عند بداية دراسته لهذه النصوص أنها سامية اللغة، وأنها تحتوي على فاصل يأتي بين المفردات، وقرأ - لأول مرة - لفظي **م ل ك**، واسم البنوة **ب ن** (دوبلهوفر، ١٩٨٣م، ص٣٤١).

نظريات على النحو التالي:

١ - النظرية الأكادية:

اعتمد أصحاب هذه النظرية على استخدام الأوجاريتية للرموز المسمارية، وخصوصًا التطابق في أشكال حرفي الجيم، والغين، والتشابه في حرفي الطاء والصاد، في الأوجاريتية والمسمارية الأكادية. إلا أن ما أضعف هذا الرأي عند البعض عدة أمور:

الأول: أن المقارنة كانت بين كتابتين مختلفتين، فالأوجاريتية ألفبائية (هجائية)، والأكادية مقطعية.

الثاني: أن الرموز الأكادية التي قورنت بها الأوجاريتية، قد أُخذت من مراحل زمنية متفاوتة، فبعض هذه الرموز يعود إلى البابلية القديمة (٢٠٠٠- ١٦٠٠ق. م)، والبعض الآخر إلى البابلية الحديثة (١٠٠٠- ٦٠٠ق.م)، وبعضها يعود إلى الآشورية الحديثة (٩١١- ٦٠٠ق. م).

الثالث: اعتمادها على التشابه والتطابق في أشكال الرموز لا يعني شيئًا؛ لأن أشكال الحروف تكون في الغالب مأخوذة من محيط بيئي واحد.

إلا أننا نرى أن هذه الاعتراضات وتحديدًا الثاني والثالث، لا تقلل من أهمية هذه النظرية، فكما سبق وأوضحنا أن العلاقات بين الشعبين كانت قوية إلى درجة قبول تأثرهما ببعض في العديد من النواحي الحضارية، والكتابة إحداها.

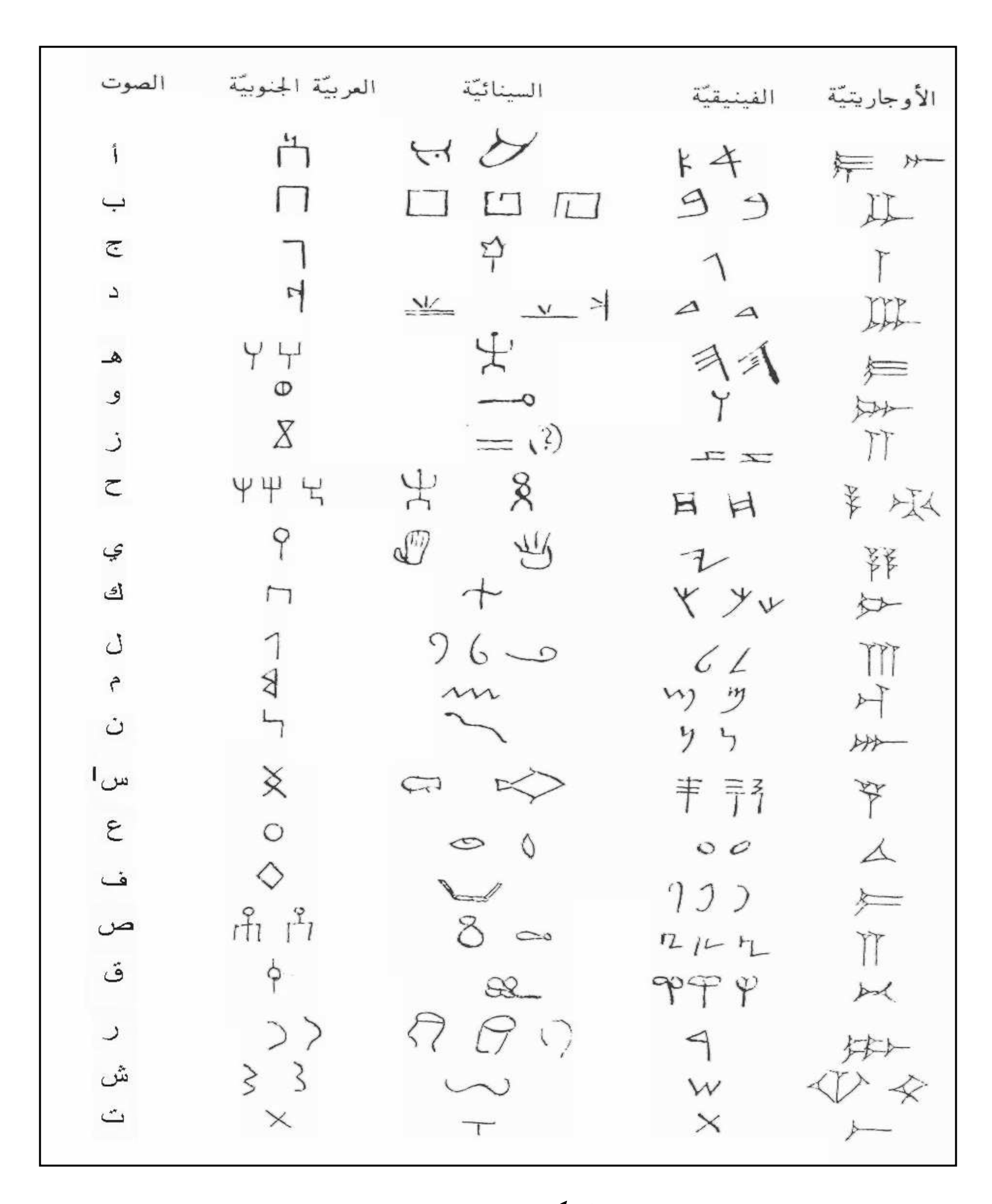
٢ - النظرية السينائية - السامية الجنوبية:

اعتمد أصحاب هاتين النظريتين أيضًا - اللتين نتفق مع بعلبكي، ١٩٨١م،

ص ص٩٨- ١٠٠، في كونهما نظرية واحدة - على التشابه الدقيق بين الأحرف الأوجاريتية واللغات السامية الأخرى، إضافة إلى أن الأوجاريتية تتفق مع هذه اللغات السامية - السينائية، والعربية الجنوبية- في أنها ألفبائية (هجائية). لكن ما قلل من قبول هذه النظرية هو عدم تقديمها الأسباب المقنعة، لأمرين:

أولهما: أن الكتابة الأوجاريتية تبدأ من اليسار إلى اليمين، ويجدر الإشارة إلى أن الكتابة السبئية كانت في بداياتها تكتب بطريقة سير المحراث (boustrophedon)، وأحيانًا النقوش المعروفة بالثمودية والصفوية. في حين كانت الساميات الأخرى تبدأ من اليمين إلى اليسار.

ثانيهما: وجود ثلاثة أصوات لحرف الألف وهي: أَ، أُ، إِ (بالفتحة، والضمة، والكسرة).



الشكل رقم (١٧)

نظرية سبرنجلنج في مقارنة الأشكال الأوجاريتية والفينيقية مع السينائية

(نقلاً عن بعلبكي، ١٩٨١م، ص٩٧) (بتصرف)

وهكذا، للعيوب التي رأها منتقدو هاتين النظريتين (رغم ضعف هذه الانتقادات)، افترضوا أن الكتابة الأوجاريتية كانت من عمل شخص، لا يستبعد أن يكون كاهنًا، رأى مناسبة بعض النصوص الدينية لأشكال الأحرف المسمارية، فاحتذى حذو الكتابة السامية في كونها ألفبائية، ولكنه فضل أن يعبر عن هذه الأشكال الألفبائية بأشكال مسمارية. نظرًا لأن الألواح الطينية أصلب وأقوى. وهذا الرأي غير مستبعد، لأن الأوجاريتية لغة متأثرة إلى حد بعيد باللغات المصرية، والأكادية، والكريتية، والحثّية، والقبرصية؛ وعليه فهذا الرأي، الذي يقول إن مخترع الكتابة إنما كان متأثرًا باللغات الأخرى المعاصرة، يحل لنا مشكلة الأشكال الثلاثة الأخيرة، فواضع هذه الحروف الثلاثة (أَ، أُ، إِ)، كان متأثرًا بالكتابة الحورية، لذلك جعل أحرفها الصائتة همزات في النظام الجديد دون أن يتخلى عن النمط الألفبائي، بمعنى أن هذا الشخص، الذي لا يستبعد أن يكون هو الكاتب الذي كرمه الملك الأوجاريتي نقمد (نقمادو) الثاني (الذييب، ٢٠٠٤م، ص٢٣، هـ ٢٢، الشواف، ١٩٩٩م، ص ص٣٣- ٣٤) - حاول التعبير عن الصامت الذي يتبعه صائت (مثل الهمزة التي يتبعها فتحة، أو ضمة، أو كسرة). الغريب أن هذا الكاتب، لسبب غير واضح، قَصَرَ هذه المحاولة على حرف واحد هو حرف الألف.

وعلى كل حال، فأيما كانت النظرية والأرجح، فإن الكتابة الأوجاريتية تظل إحدى أهم الكتابات السامية، فقد حفظت لنا هذه الرقم الأوجاريتية النواحي الحضارية والثقافية التي دارت في المجتمع

الأوجاريتي، المتعدد الأعراق والأديان[٢٧]. بل يحق لنا القول - دون تردد- : إن ما عكسته هذه الألواح الطينية تفوق بمراحل متعددة ما عكسته أي من النقوش السامية الأخرى ذات القلم الأبجدي، فهي الوحيدة - حسب علمنا- التي تضمنت نصوص معجمية، مثل المعجم الثلاثي اللغات، والموسوعات المتعددة الأغراض، مثل الرقيم الضخم المنقوش بخمسمائة سطر موزعة على ثمانية أعمدة، والذي يمثل جزءًا من موسوعة متعددة الأغراض، تجمع أسماء الأسماك، والطيور، والنباتات، والمعادن، والأنسجة، والألبسة (البني، ٢٠٠١م، ص٨٦). كما شملت هذه الكتابة الأساطير، والملاحم الدينية، والمراسم الملكية، والصكوك والعقود، (مثل الوصية، وعقد البيع، وعتق العبد، والتبني، وتسوية الإرث ... إلخ). والمواضيع السياسية وغيرها.

وتتميز الكتابة الأوجاريتية بعدد من السمات التي تميزها عن غيرها، وهي:

١ - أنها كتابة سامية غربية.

٢ - أنها كتابة سامية هجائية، كُتبت برموز مسمارية.

٣ - أنها تحتوي على ثلاثين (٣٠) رمزًا، علاماتها الثلاثون البسيطة، تتألف من مسمار ومسمارين حتى أربعة مسامير، ونادرًا ما تصل إلى سبعة مسامير (انظر الشكل رقم ١٨).

---

[٢٧] لقد عُثر في أوجاريت، إضافة إلى الكتابة الأوجاريتية، على العديد من النقوش المكتوبة بلغات مختلفة مثل: الأكادية، والسومرية، والحورية، والهيروغليفية المصرية، والهيروغليفية الحثّية. والمقطعية الحثّية، والقبرصية، إضافة إلى نقش كنعاني متأخر (فينيقي) وحيد (البني، ٢٠٠١م، ص٨٨).

٤ - أنها كتابة استمرت من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

٥ - أنها كتابة تتميز عن الكتابات السامية الغربية الأخرى، بوجود الأداة "م" ملحقة باسم العلم.

٦ - أنها تقرأ مثل الأكادية من اليسار إلى اليمين، متفقة في ذلك مع الثمودية.

٧ - يفصل بين الكلمات - كما في العربية الجنوبية والآرامية والثمودية- بمسمار أصغر من المعتاد وغير عميق، وأحيانًا يستعمل للفصل بين الكلمات خط بسيط، ولا يستخدم هذا الخط في آخر السطر. وكغالبية النقوش السامية الأخرى يمكن أن تقطع الكلمة في آخر السطر.

٨ - الرقم الأوجاريتية هي بمقاس يتراوح ما بين ٥- ٢٥سم، فيما عدا الرُقم الكبيرة الضخمة منها، التي سُجلت عليها الأساطير والنصوص الأدبية المختلفة، وهذه الرُقم تُصْنَعُ من الطين الطري، بعضها يجفف في الشمس، وبعضها الآخر يشوى عند الحاجة. وتستخدم أقلام من البرونز أو القصب للكتابة على هذه الألواح.

وقبل الانتهاء من حديثنا عن الكتابة الأوجاريتية تجدر الإشارة إلى أن أعمال الحفر والتنقيب، قد كشفت لنا عن نقش كامل[٢٨] يمثل الترتيب

---

[٢٨] عثر على أربعة نقوش أخرى تمثل الترتيب الأبجدي الأوجاريتي، لكنها ناقصة؛ أولها: النقش رقم ٣٢ عند جوردن (Gordon, 1965, p.207)، وكان الجزء الأيسر منه مكسورًا. ثانيها: نقش فيه الأحرف السبعة الأولى من هذه الأبجدية. ثالثها: نقش عُثر عليه سنة ١٩٥٥م، ويعتقد أنه عمل

الأبجـدي الأوجـاريتي (بعلبكـي، ١٩٨١م، ص٢٨٧- ٢٩٨)، وهـو نقـش عُثـر عليـه في سـنة ١٩٤٩م، وفيـه ثلاثـة أسـطر تحـوي الأبجديـة الأوجاريتية كاملة، وترتيبها كالآتي:

١ - أ ب ج خ د هـ و ز ح ط ي ك ش ل

٢ - م ذ ن ظ س ع ف ص ق ر ث

٣ - غ ت إ أ س

شخص يتمرن على= =الأبجدية، لأنه كرر الأحرف العشرة الأولى سبع مرات، رابعها: نقش تالف، عُثر عليه سنة ١٩٥٥م، لم يتبق فيه من الأبجدية سوى عشرين حرفًا من الحروف الثلاثين (البعلبكـــي، ١٩٨١م، ص ص٢٨٧-٢٩١).

الأبجدية	الحروف	الأبجدية	الحروف
أ		ذ	
ب		ن	
ج		ظ	
خ		س	
د		ع	
هـ		ف	
و		ص	
ز		ق	
ح		ر	
ط		ث	
ي		غ	
ك		ت	
ش		إ	
ل		ؤ	
م		(س)	

الشكل رقم (١٨)

(نقلاً عن الذييب، ٢٠٠٤م، ص٨١)

ثالثًا: الأبجدية الفينيقية:

تُعد الأبجدية أبرز ابتكارات الفينيقيين وأهمها، التي حفظها التاريخ، فالشعب الفينيقي شعب تجاري، والسرعة عنصر يرتبط كثيرًا بالتجارة، ولأن الكتابات التصويرية والمقطعية - المتداولة آنذاك- كانت صعبة ومعقدة، وتتطلب وقتًا وجهدًا لأدائها، فقد نجح الفينيقيون في التخلص من هذه العلامات التصويرية[٢٩] واستبدالها بالنظام الأبجدي، فأصبح كل رمز - من الرموز الاثنين والعشرين- منها يمثل صوتًا واحدًا منفردًا (انظر الشكل رقم ١٩). وكما كان العامل الاقتصادي المرتبط بالمعبد وراء توصل السومريين في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد للكتابة، فإن العامل ذاته هو الذي دفع الفينيقيين إلى ابتكار الأبجدية. وعندما بدأ هذا النظام ينتشر في الآفاق تبنت العديد من الشعوب الخط الفينيقي، ولعل من أبرز هذه الأمثلة، استخدام ملك زنجيرلي الآرامي، القلم الفينيقي لكتابة نصه، حتى إنه يمكن القول إن الكتابة الفينيقية كانت - آنذاك- كتابة الطبقة الارستقراطية، (مثل الفرنسية في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين).

لقد كانت الكتابة الفينيقية تنتقل مع السفن التجارية، أينما رَسَتْ وأبحرت، وهكذا فإننا نجد نقوشهم منتشرة في أنحاء متعددة من العالم

---

[٢٩] أسهب المختصون في تكرار النظريات والآراء المتعددة، قديمها الذي يعود إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وحديثها التي تناولت أصل الفينيقية، وهل هي ألفبائية أم مقطعية (انظر إدّة، ١٩٧٣م،
ص ص٤١- ٥٧؛ بعلبكي، ١٩٨١م، ص ص٦٨- ٨٨؛ السبني، ٢٠٠١م، ص ص١٢١ - ١٢٤)؛ ونحن لا نريد أن نثقل على القارئ بتكرار هذه الآراء، خصوصًا أنها متوفرة للقارئ العربي، لكن أيما كان التأثير، فإن الفضل يعود إلى هذا الشعب المسالم والتجاري والمبدع.

القـديم، بـدءاً مـن قـبرص، وكريـت، ومالطـا، وصـقلية، واليونـان، وإيطاليا، وفرنسا، وإسبانيا حتى البرازيـل غربًـا، وبـلاد الرافـدين شـرقًا، ومصر وشمال أفريقيا جنوبًا. والغريب - رغم أن القبائل الفينيقية جاءت في الأصل من سـواحل الخليج العربي- أننا لم نعثر حتى الآن، على نقوش كُتبت بالقلم الفينيقي في شبه الجزيرة العربية أو فارس، ونحن نعيـد هـذا إلى العـداء المتواصـل الـذي ناصبته ممالـك بـلاد الرافـدين للفينيقـيين، ففضـلوا عـدم الاحتكـاك والاتصـال بشـبه الجزيـرة العربيـة تجنبًـا للاتصـال والاحتكاك بهذه الممالك والإمبراطوريات الرافدية، إضـافة إلى تفضـيلهم التجارة البحرية على التجارة البرية، للمردود الاقتصـادي الواضـح. ومـن المدهش أن عدم اتصالهم بشبه الجزيرة العربية، موطنهم الأصـلي[٣٠]، لم يمـنعهم مـن الوصـول إلى البرازيـل، الـذي أثبتـه بشـكل واضـح، الـنص الفينيقـي، الـذي حـاول عـدد مـن البـاحثين، وعلـى رأسـهم الإنجليـزي كـروس(Cross, 1968, pp.347-60) تجاهلـه واعتـبره نقشًـا مزورًا، مـدللاً على هذا بأمرين:

الأول: الإعجاب المعروف عـن الإمبراطـور البرازيلـي "دوم بـدور الثـاني" بالشرق وثقافته.

الثاني: أن اكتشاف النص توافق مع عـودة الإمبراطـور مـن جولـة قـام بهـا لمنطقة الشرق، والتي شملت، سـوريا، وفلسـطين، ومصـر، وآسـيا

---

[٣٠] لا يستبعد أن يكون هدف الرحلة البحرية المسماة "رحلة هانون"، الوصـول إلى جنـوب شـبه الجزيـرة العربيـة، وقـد فضـل الفينيقيـون السير في هـذا الطريـق الطويـل، رغبـة مـنهم في عـدم الوصـول إلى الجزيرة العربية عن طريق مدن سوريا الداخلية، للمزيـد انظر (الـذييب، ٢٠٠٤م، ص ص٦٦-٦٧).

الصغرى.

لهذا يرى كروس بكل جرأة أن النص قد كتبه الإمبراطور نفسه أو أحد مرافقيه. وقد تصدى لهذا الرأي الشاذ عدد من العلماء، المشهود لهم بالمصداقية والرصانة العلمية مثل العالم الألماني جوردن، الذي فند آراء كروس، معتبرًا أن هذا النص يعود إلى فترة ظهور الفينيقيين في البرازيل (Cross, 1968, pp.361- 67).

ولنعد إلى الخط الفينيقي، الذي يعود الفضل في تفسيره بشكل صحيح إلى الفرنسي "الأب بارثلمي"[٣١]. ونظرًا لطول الفترة الزمنية، التي استخدمت فيها هذه الكتابة، فقد تمكن العلماء من تقسيم نقوشها إلى ثلاث مراحل رئيسة هي:

١ - الخط الفينيقي القديم (ق ١٢/ ١١ق.م - ٩ ق.م):

وهو الخط، الذي كُتبت به النصوص الملكية في جبيل، مثل نص الملك أحيرام[٣٢]، ونص عُثر عليه في سردينيا. وأبرز ما يميزه أن الحرف كان قويًا وكثيفًا، وأميل إلى الانكسار. ويفصل بين الكلمات بخطوط

---

[٣١] فقد توصل إلى قراءته الصحيحة هذه، في عام ١٧٥٨م، عندما قارن نقشًا مزدوجًا من الكنعانية واليونانية، مكتوبًا على قاعدة تمثالين يعودان إلى القرن الثاني قبل الميلاد (انظر البني، ٢٠٠١م، ص١٢٦).

[٣٢] هو أحد ملوك مدينة صور الفينيقية، جاءت شهرته لمعاصرته -كما في العهد القديم- النبيين داود وسليمان عليهما السلام. وقد ارتبط أحيرام بصداقة وعلاقة وطيدة مع سليمان عليه السلام، وكما تذكر المصادر التوراتية، فقد اشتركا في أعمال تجارية متعددة، فقد شارك في بناء قصر النبي سليمان عليه السلام، وبناء معبد الإله، وتدل المصادر الكتابية على أن أحيرام قد بعث حملة عسكرية إلى مستعمرة كيتون في قبرص لتأديب أهلها - من الفينيقيين- لعدم دفعهم الجزية.

مستقيمة (البني، ٢٠٠١م، ص ص١٢٧- ١٢٨). ونورد هنا مثالاً لهذا الخط نقش أحيرام[٣٣].

نقش أحيرام

١ - أ ر ن | ز ف ع ل | (أ) ت ب ع ل | ب ن أ ح ر م| م ل ك ج ب ل | ل أ ح ر م | أ ب هـ | ك ش ت هْ | ب ع ل

٢ - و أ ل | م ل ك | ب م ل ك م | و س ك ن | ب س (ك) ن م | و ت م أ | م ح ف ت ع ل ي | ج ب ل | و ي ج ل | أ ر ن | ز ن | ت ح ت س ك | ح ط ر | م ش ف ط هـ | ت هـ ت ف ك | ك س أ | م ل ك هـ | و ن ح ت | ت ب ر ح | ع ل | ج ب ل | و هـ أ | ي م ح س ف ر هـ | ل ف ف | ش ب ل

القراءة:

[٣٣] عُثر على هذا النص في عام ١٩٢٣م، على يد مونتت (P. Montet)، في القبر الملكي الخامس في مقبرة جبيل. وكُتب النقش على حافة غطاء تابوت الملك "أحيرام"، (حامدة، ١٩٩٧- ١٩٩٨م، ص٥٧).

١ - هذا التابوت صنعه إيتوبعل بن أحيرام ملك جبيل، لأبيه أحيرام، لمّا سجاه إلى الأبد (كمثوى أبدي).

٢ - لكن إذا ملك من الملوك أو حاكم (والٍ) بين الحكام (الولاة)، أو قائد جيش، زحف إلى جبيل، وأزاح (فتح) هذا التابوت، فسوف تكسر عصا سلطته، ويقلب كرسي عرشه، ويزول السلام عن جبيل، وسوف يُمحى نقشه بحد السيف.

٢ – الخط الفينيقي المتوسط (ق ٩ق.م – ٦ق.م):

وهو الخط الذي كُتبت به معظم النقوش الفينيقية، ويمتاز هذا الخط، باستطالة الحروف إلى الأعلى أو إلى الأسفل، وبعض حروفها تأخذ اتجاهًا واضحًا نحو اليمين أو اليسار، مما يسمح بتميز الحروف التي غالبًا ما تلتبس فيما بينها· ويلحظ عدم وجود فواصل بين الكلمات، كما كان مستخدمًا في الخط الفينيقي القديم. وهذه النقوش المكتوبة بهذا الخط عُثر عليها في فينيقيا، ومصر، واليونان، ومالطا، وسردينيا، وإسبانيا، وإيطاليا، ونورد هنا مثالاً على هذا الخط القديم، الذي يعود إلى القرن السادس قبل الميلاد. وقد عُثر عليه في صيدا سنة ١٨٨٧م، (حامدة، ١٩٩٧- ١٩٩٨م، ص٨١). وهو نص "تبنت" ملك صيدا.

١ - أ ن ك ت ب ن ت ك هـ ن ع ش ت ر ت م ل ك ص د ن
م ب ن

٢ - ا ش م ن ع ز ر ك هــــ ن ع ش ت ر ت م ل ك ص د ن م
ش ك ب ب أ ر ن

٣ - ز م ي أ ت ك ل أ د م أ ش ت ف ق أ ي ت هـ أ ر ن ز
أ ل أ ل ت

٤ - ف ت ح ع ل ت ي و أ ل ت ر ج ز ن ك أ ي أ ر
(د) ل ن ك س ف أ ي أ د (ر) ل ن

٥ - ح ر ص و ك ل م ن م م ش د ب ل ت أ ن ك ش ك
ب ب أ ر ن و أ ل أ ل ت ف ت

٦ - ح ع ل ت ي و أ ل ت ر ج ز ن ك ت ع ب ت ع ش
ت ر ت هـ د ب ر هـ أ و أ م ف ت

٧ - ح ت ف ت ح ع ل ت ي و ر ج ز ت ر ج ز ن ي
(ك) ن ل (ك) ز ر ع ب ح ي م ت ح ت ش م

٨ - س و م ش ك ب أ ت ر ف أ م

القراءة:

١ - أنا تبنت كاهن عشتارت ملك الصيدونيين بن

٢ - أشمن عزر كاهن عشتارت ملك الصيدونيين، أرقد في هذا التابوت

٣ - لتكن من كُنْتَ أي إنسان يطأ هذا التابوت؟ لا لا

٤ - تفتح عليَّ (لا تكشفني) ولا تزعجني، لأنه لا أحد أدى لنا (أرانا) فضة لا أحد أدى لنا

٥ - (أرانا) ذهبًا، أو أي شيء ثمين، غير أنني أرقد في هذا التابوت. لا لا تفتح

٦ - عليَّ، ولا تزعجني، لأن هذا العمل فظيع عند عشتارت. وإن فتحًا

٧ - تفتح عليَّ، وإزعاجًا تزعجني، فلن تكون لك ذرية (أولاد) في الحياة تحت الشمس

٨ - ولا قبر بين الأموات

٣ – الخط الفينيقي المتأخر (القرن ٥ق.م – القرن الأول الميلادي):

والنصوص المكتوبة بهذا الخط قليلة جدًا، وأكثرها على العملات النقدية، وجاءت فيها أشكال الحروف متشوهة.

ويعود أقدم نصوصه إلى القرن الرابع قبل الميلاد واستمرت حتى السنة ١٤٦ق. م، وهو تاريخ سقوط قرطاجنة بيد الرومان. وقد كتبت نصوص الخط الفينيفي المتأجر بلهجة عُرفت باسم البونيقية/ البونية، وهي لهجة متطورة عن الفينيقية المتوسطة واليونانية، حيث ظهرت لهجة جاءت متأثرة باليونانية، وهذا الاحتكاك أدى إلى ضعف النطق بأصوات الحلق في البونية الحديثة، فحدث خلط بين حرفي العين والهمزة، والحاء

والهاء.

الأبجدية	الفينيقي القديم	الفينيقي الوسيط	الفينيقي الحديث
أ			
ب			
ج			
د / ذ			
هـ			
و			
ز			
ح / خ			
ط / ظ			
ي			
ك			
ل			
م			
ن			
س / (سامخ)			
ع / غ			
ف			
ص / ض			
ق			
ر			
ش / س			
ت / ث			

الشكل رقم (١٩)

(نقلاً عن الذييب، ٢٠٠٤م، ص٨٢)



المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

القرآن الكريم

الأحمد، سامي سعيد.، (١٩٨١م)

المدخل إلى تاريخ اللغات الجزرية، بغداد: منشورات اتحاد المؤرخين العرب.

إدة، إميل.، (١٩٧٣م)

جبيل مهد الأبجدية، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

إسماعيل، بهيجة.، (١٩٨٥م)

"الكتابة"، في: **حضارة العراق**، ج١، ص ص٢٢١- ٢٧٢.

أمان، محمد محمد.، (١٩٩٠م)

الكتب الإسلامية؛ ترجمة: سعد عبدالله الضبيعان، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

باقر، طه.، (١٩٨٦م)

مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة: الوجيز في تأريخ حضارة وادي الرافدين، بغداد: منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام.

برجرين، أولاف.، (٢٠٠٥م)

قصة الكتابة: رموز وأبجديات جدارية مكتبة الإسكندرية؛ ترجمة: أيمن منصور، مراجعة: لؤي محمود سعيد، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية.

بروكلمان، كارل.، (١٩٧٧م)
فقه اللغات السامية؛ ترجمة رمضان عبدالتواب، الرياض: جامعة الرياض (الملك سعود حاليًا).

بعلبكي، رمزي.، (١٩٨١م)
الكتابة العربية السامية دراسات في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين، بيروت: دار العلم للملايين.

البنا، إدريس عبدالله.، (٢٠٠٣م)
لمحات عن ممالك كوشى، أم درمان: مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أم درمان الأهلية.

البني، عدنان.، (٢٠٠١م)
المدخل إلى قصة الكتابة في الشرق العربي القديم، دمشق: (د. ن).

بيطار، إلياس.، (١٩٩١/١٩٩٢م)
قواعد اللغة الأوجاريتية، دمشق: جامعة دمشق.

بيكرتون، ديريك.، (٢٠٠١م)
اللغة وسلوك الإنسان؛ ترجمة: محمد زياد كبة، الرياض: جامعة الملك سعود.

بينو، جورج جون.، (٢٠٠٥م)
"كتابات شبه القارة الهندية"؛ ترجمة: محمد عبدالغني، في: **تاريخ الكتابة من التعبير التصويري إلى الوسائط الإعلامية المتعددة**؛ تحرير: خالد عزب، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ص ص٩٣- ١٢١.

جاردنر، سير ألن.، (١٩٨٧م)
مصر الفرعونية، ترجمة: نجيب ميخائيل إبراهيم، مراجعة: عبدالمنعم أبوبكر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢.

الجبوري، علي ياسين.، (١٩٩٩م)
"بعض خصائص اللهجة الأشورية الحديثة"، في: **ندوة الأصل المشترك للغات العراقية القديمة**، بغداد: المجمع العلمي، ص ص٤٧- ٦٢.

الجبوري، محمود شاكر.، (١٩٩٨م)
الخط العربي قيم ومفاهيم الزخرفة الإسلامية، إربد: دار الأمل للنشر والتوزيع.

جمعة، إبراهيم.، (١٩٨١م)
قصة الكتابة العربية، القاهرة: المطبعة العالمية.

جيشار، ميكائيل.، (٢٠٠٥م)
"الإرهاصات الباكرة للكتابة في حوض نهر الدانوب"؛ ترجمة: إسحاق عبيد، في: **تاريخ الكتابة من التعبير التصويري إلى الوسائط الإعلامية المتعددة**؛ تحرير: خالد عزب، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ص ص١٧- ٢٠.

.................، (٢٠٠٥م أ)
"فك رموز الكتابة المسمارية"؛ ترجمة: أيمن منصور، في: **تاريخ الكتابة من التعبير التصويري إلى الوسائط الإعلامية المتعددة**؛ تحرير: خالد عزب، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ص ص٣٣- ٣٦.

حامدة، أحمد.، (١٩٩٧/١٩٩٨م)
المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية، دمشق: جامعة دمشق.

حسين محمود حاج.، (٢٠٠٤م)
تاريخ الكتابة العربية وتطورها وأصول الإملاء العربي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

الحلو، عبدالله.، (٢٠٠٤م)
سوريا القديمة: الكتاب الأول، التاريخ العام، من أقدم الأزمنة حتى أوائل العصر البيزنطي، دمشق: ألف باء - الأديب.

حنون، نائل.، (١٩٩٩م)
"تطور اللهجات الأكدية والمشترك فيما بينها وبين اللغة العربية" في: **ندوة الأصل المشترك للغات العراقية القديمة**، بغداد: المجمع العلمي، ص ص٦٣- ٧٦.

....................، (٢٠٠١م)
المعجم المسماري: معجم اللغات الأكدية والسومرية والعربية، بغداد: بيت الحكمة.

خان، مجيد.، (١٤١٣هـ)
نشأة وتطور الكتابة في الجزيرة العربية؛ ترجمة: عبدالرحمن علي الزهراني، الرياض: الإدارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف.

الخوري، موسى ديب.، (٢٠٠٢م)
قصة الأرقام عبر حضارات الشرق القديم، دمشق: وزارة الثقافة، سلسلة الدراسات التاريخية.

دوبلهوفر، أرنست.، (١٩٨٣م)
رموز ومعجزات: دراسة في الطرق والمناهج التي استخدمت لقراءة الكتابات واللغات القديمة؛ ترجمة وتقديم: عماد حاتم، ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب.

دورا، جون ماري.،(٢٠٠٥م)
"الكتابة المسمارية"؛ ترجمة: أيمن منصور، في: **تاريخ الكتابة من التعبير التصويري إلى الوسائط الإعلامية المتعددة**؛ تحرير: خالد عزب، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ص ص٢١- ٣٢.

الذييب، سليمان بن عبدالرحمن.، (١٩٩٩م)
نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

..................، (٢٠٠٤م)
الأوجاريتيون والفينقيون: مدخل تاريخي، بحوث تاريخية، الإصدار السابع عشر.

راشد، سيد فرج.، (١٩٩٤م)
الكتابة من أقلام الساميين إلى الخط العربي، القاهرة: مكتبة الخانجي.

رشيد، فوزي.، (١٩٧٢م)
قواعد اللغة السومرية، بغداد: وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة، السلسلة الفتية (٢٠).

زكري، إنطوان.، (١٩٨٤م)
اللغة المصرية القديمة: الهيروغليفية أصولها وقواعدها مع مبادئ اللغتين القبطية والعبرية، القاهرة: المركز المصري للتوثيق والمعلومات.

الزعبي، آمنة صالح.، (٢٠٠٥م)
في علم الأصوات المقارن التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، إربد: دار الكتاب الثقافي.

السامرائي، قاسم.، (٢٠٠١م)
علم الاكتناه العربي الإسلامي، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ستيبتشفيتش، إلكسندر.، (١٩٩٣م)
تاريخ الكتاب؛ ترجمة: محمد الأرناؤوط، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، عالم المعرفة (١٦٩).

السعيد، سعيد فايز.، والمنيف، عبدالله محمد.، (١٤٢٣هـ)
حضارة الكتابة، الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

سليمان، عامر.، (١٩٩٩م)
"التراث اللغوي"، في: **حضارة العراق**، ص ص٢٧٣- ٣١٨.

.....................، (١٩٩٩م)
"تعريب اللغة الأكادية"، في: **ندوة الأصل المشترك للغات العراقية القديمة**، بغداد: المجمع العلمي، ص ص١١- ٣١.

سومر، أندريه دوبون.، فيلوتكو، مارك.، (١٩٩٨م أ)
مخطوطات قمران –البحر الميت، التوراة: كتابات ما بين العهدين I، الكتب الآسينية؛ ترجمة: موسى ديب الخوري، دمشق: دار الطليعة الجديدة.

.....................، (١٩٩٨م ب)

مخطوطات قمران –البحر الميت، التوراة: كتابات ما بين العهدين II، التوراة المنحول؛ ترجمة: موسى ديب الخوري، دمشق: دار الطليعة الجديدة.

شاربان، دومنيك.، (٢٠٠٥م)
"كتبة بلاد ما بين النهرين"؛ ترجمة: أيمن منصور، في: **تاريخ الكتابة من التعبير التصويري إلى الوسائط الإعلامية المتعددة**؛ تحرير: خالد عزب، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ص ص٣٧- ٤٣.

الشواف، قاسم.، (١٩٩٩م)
أخبار أوغاريتية وموسيقى من أوغاريت، أقدم موسيقى معروفة في العالم، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

شيفر، كلود.، (١٩٨٠م)
"مدخل"، في: **رأس الشمرة ١٩٢٩/١٩٧٩م، البعثة الفرنسية المنقبة**؛ ترجمة: فهمي الدالاتي، دمشق: المديرية العامة للآثار والمتاحف.

شيفمان، إ. ش.، (١٩٨٨م)
ثقافة أوغاريت؛ ترجمة: حسان إسحاق، دمشق: الأبجدية للنشر.

الصالح، صبحي.، (١٩٨٦م)
دراسات في فقه اللغة، بيروت: دار العلم للملايين.

طيران، سالم.، (٢٠٠٥م)
"المظاهر الحضارية للعرب قبل الإسلام: الكتابة"، **المرجع في تاريخ**

الأمة العربية، المجلد الأول، الجذور والبدايات، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص ص٥٨٤- ٦٠٠.

عبدالله، عبدالقادر محمود.، (١٩٨٦م)
اللغة المروية، الرياض: مركز البحوث، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

.................، (١٩٩٥م)
الكتابة الأبجدية في مصر القديمة: أول اهتداء لمبدأ الأبجدية، الرياض: جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات.

عبدالتواب، رمضان.، (١٩٨٧م)
فصول في فقه العربية، القاهرة: مكتبة الخانجي.

عصفور، محمد أبو المحاسن.، (١٩٨١م)
المدن الفينيقية، بيروت: دار النهضة العربية.

الغول، علي فايز.، (٢٠٠٥م)
الجذور التاريخية والمعمارية التي أثرت على التشكيل الفني للحروف العربية منذ نشأتها حتى الآن، عمان: الجامعة الأردنية، منشورات عمادة البحث العلمي.

فاندرميرش، ليون.، (٢٠٠٥م)
"الكتابة في الصين"؛ ترجمة: محمد طلبة عبدالقادر، في: **تاريخ الكتابة من التعبير التصويري إلى الوسائط الإعلامية المتعددة**؛ تحرير: خالد عزب، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ص ص٦٧- ٨٦.

فريدريش، يوهانس.، (٢٠٠٤م)

تاريخ الكتابة؛ ترجمة: سليمان أحمد الضاهر، دمشق: وزارة الثقافة.

فنطر، محمد.، (١٩٨٨م)

"ماذا عن النقائش الفينيقية البونية في تونس؟"، في: **النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي**، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

فيركوتير، جان.، (١٩٩٣م)

مصر القديمة؛ ترجمة: ماهر جويجاتي، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

فيرنو، باسكال.، (٢٠٠٥م)

"الكتابة في مصر القديمة"؛ ترجمة: خالد داود، في: **تاريخ الكتابة من التعبير التصويري إلى الوسائط الإعلامية المتعددة**، مراجعة محمد شرف خضر؛ تحرير: خالد عزب، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ص ص٤٥- ٦٣.

.....................، (٢٠٠٥م)

"المواءمة بين الكتابة والأثر"؛ ترجمة: محمد عبد الغني، في: **تاريخ الكتابة من التعبير التصويري إلى الوسائط الإعلامية المتعددة**؛ تحرير: خالد عزب، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ص ص٦٤- ٦٦.

كَبْلس، ردْتَرد.، (١٩٩٥م)

المدخل إلى اللسان الأكادي؛ ترجمة: ألبير فريد نقاش، وحسني زينة، بيروت: لسان المشرق.

كمال، ربحي.، (١٩٧٥م)
التضاد في ضوء اللغات السامية: دراسة مقارنة، بيروت: دار النهضة العربية.

الماجدي، خزعل.، (٢٠٠٥م)
تاريخ القدس القديم: منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الاحتلال الروماني، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

المصرف، ناجي زين الدين.، (١٩٨٤م)
موسوعة الخط العربي، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، السلسلة الفنية (٥١).

موسكاتي، سباتينو.، أولندورف، أدفارد.، شيتلر، أنطوان.، زودن، فلرام.، (١٩٩٣م)
مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن؛ ترجمة: مهدي المخزومي، وعبدالجبار المطلبي، بيروت: عالم الكتب.

موني، برناديت.، (١٩٩٩م)
المعجم الوجيز في اللغة المصرية بالخط الهيروغليفي، مصري/عربي؛ ترجمة: ماهر جويجاتي، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

مونين، جورج.، (١٩٧٢م)
تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين؛ ترجمة: بدر الدين القاسم، دمشق: وزارة التعليم العالي، جامعة دمشق.

نور الدين، عبدالحليم.، (١٩٩٨م)
اللغة المصرية القديمة، القاهرة: الخليج العربي للطباعة والنشر.

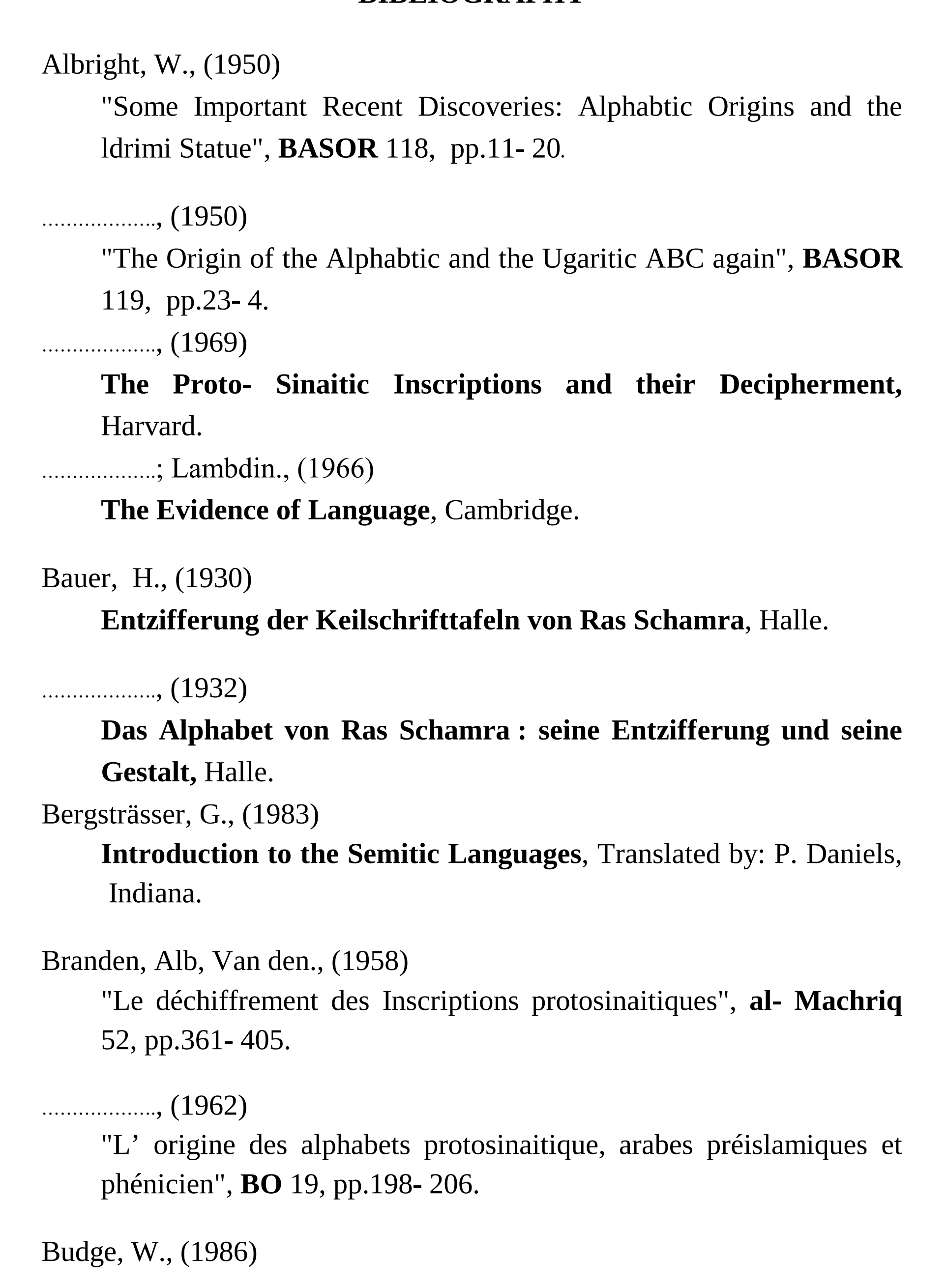
هبو، أحمد.، (١٩٨٤م)
الأبجدية نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

هيردوت.، (٢٠٠١م)
تاريخ هيردوت؛ ترجمة: عبدالإله الملاح، مراجعة: أحمد السقاف، وحمد بن صراي، أبو ظبي: المجمع الثقافي.

وافي، علي عبدالواحد.، (١٩٤٥م)
فقه اللغة، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

..................، (بدون)
نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

ثانياً: المراجع الأجنبية:



BIBLIOGRAPHY

Albright, W., (1950)
"Some Important Recent Discoveries: Alphabtic Origins and the ldrimi Statue", **BASOR** 118, pp.11- 20.

.................., (1950)
"The Origin of the Alphabtic and the Ugaritic ABC again", **BASOR** 119, pp.23- 4.

.................., (1969)
The Proto- Sinaitic Inscriptions and their Decipherment, Harvard.

..................; Lambdin., (1966)
The Evidence of Language, Cambridge.

Bauer, H., (1930)
Entzifferung der Keilschrifttafeln von Ras Schamra, Halle.

.................., (1932)
Das Alphabet von Ras Schamra : seine Entzifferung und seine Gestalt, Halle.

Bergsträsser, G., (1983)
Introduction to the Semitic Languages, Translated by: P. Daniels, Indiana.

Branden, Alb, Van den., (1958)
"Le déchiffrement des Inscriptions protosinaitiques", **al- Machriq** 52, pp.361- 405.

.................., (1962)
"L’ origine des alphabets protosinaitique, arabes préislamiques et phénicien", **BO** 19, pp.198- 206.

Budge, W., (1986)

Egyptian Language: Easy Lessons in Egyptian Hieroglyphics, London: Routledge & Kegan Paul, New York: Dover Publications.

Cathcart, K., (1994) "Edward Hincks (1792- 1866):
abiographical essay", In: **The Edward Hincks Bicentenary Lectures**, ed by: K. Cathecart, pp.1- 29.

Chadwick, J., (1987)
Linear B and Related Scripts, London: The British Museum Publications.

Cowley, A., (1929)
"The Sinaitic lnscriptions", **JEA** 15, pp.200-18.

.................., (1916)
"The Origin of the Semitic Alphabet", **JEA** 3, pp. 17-21.

Cross, F. M., (1968)
"The Phoenician lnscription from Brazil", **Orientalia** 37, pp.437-60.

..................; Lambdin, T., (1960)
"A Ugaritic Abeedary and the Origins of the Proto- Canaanite Alphabet", **BASOR** 160, pp.21-6.

Daniels, P., (1995)
"Edward Hincks's Decipherment of Mesopotamian Cuneiform", In: **The Edward Hincks Bicentenary Lectures**, ed by: K. Cathecart, pp.1- 29.

De Rougé, E., (1874)
Mémoire sur l' origine egyptienne de l'alphabet Phénicien, Paris.

Dhorme, E., (1946-48)
"Déchiffrement des inscriptions pseudo- hieroglyphiques de Byblos" **Syria** 25, pp.1- 35.

Driver, G. R., (1976)
Semitic Writing: from Pictograph to Alphabet, London: Oxford

University Press.

Dunand, M., (1945)
Byblia Grammata: Documents et recherches sur le développement de l'écriture en Phénicie, Beyrouth.

Dussaud,R., (1946- 48)
"L' origine de l' alphabet et son évolvtion premiére d' après les découvertes de Byblos", **Syria** 25, pp.36-52.

Falkenstein, A., (1959)
Das Sumerische, Leiden.

Gardiner, A. H., (1916)
"The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet", **JEA** 3, pp.1- 16.

Gelb, I. J., (1965)
A Study of Writing, Chicago.

Gordon, C. H., (1950)
"The Ugaritic ABC", **Orientalia** 19, pp.374- 6.

.................., (1965)
Ugaritic Textbook, Roma: Pontifical Biblical Institute, No:35.

.................., (1968)
"Reply to Professor Cross", **Orientalia** 37, pp.461- 67.

Halévy, J., (1901)
"Nouvelles considérations sur l' origine de l' alphabet", **Revue Sémitique** 9, pp.356- 70.

Healey, J., (1990)
The Early Alphabet, London: British Museum Publications.

.................., (1994)
"The Decipherment of Alphabetic Scripts", In: **The Edward Hincks Bicentenary Lectures ed. by: K. Cathcart**, pp.75- 93.

Helck, W., (1972)
"Zur Herkunft der Sog. (phönizschen) schrift", **Ugarit-Forschungen**4,pp. 41- 5.

Leibovitch, L., (1934)
Les inscriptions Protosinaitiques, Le Caire.

Moret, A., (1972)
The Nile and Egyption Civilization, London: Routledge and Kegan Paul.

Oppenheim, A., (1959)
"On an Operational Device in Mesoptamian Bureaucracy". **JNES** 18, pp.121-8.

Petrie, F., (1906)
Researches in Sinai, London.

Pinker, S., (1945)
The Language Instinct, New York: Harper Peremial.

Posener, G, (1969)
"Sur les inscriptions pseudo- hiéroglyphiques de Byblos", **MUST** 45, pp.225- 39.

Prätorius, Fr., (1909)
"Das Kanaanäische and das südsemitische Alphabet", **ZDMG** 63, pp.189- 98.

Robinson, A., (1995)
The Story of Writing, London: Thames and Hudson.

Schmandt- Besserat, D., (1977)
"An Archaic Recording System and the Origin of Writing", **Mesopotamian Studies,** I, pp. 1- 32.

.................., (1978)
" The earliest Precursor of Writing", **Scientific American** 238, pp.50-9.

.................., (1979)

"An Archaic Recording System in the Uruk- Jemdet Nasr Period", **AJA** 83, pp.19- 48.

.................., (1996)
How Writing Came About, Austin: University of Texas Press.

Sethe, K., (1926)
Der Ursprung des Alphabets & die neuentdeckte Sinaischrift: Zwei Abdhandlungen zur Entstehungsgeschichte unserer Schrift, Berlin.

Sivan, D., (1997)
A Grammar of the Ugaritic Language, Leiden.

Sprengling, M., (1931)
The Alphabet: Its Rise and Davelopment from the Sinai Inscriptions, Chicago.

Virolleaud, C., (1937)
"La naissance des dieux gracieux et beau: Poéme Phénicien de Ras Shamra", **Syria** 14, pp.128- 51.

Waddell, L., (1927)
The Aryan Origin of the Alphabet: Disclosing the Sumero-Phoenician Parentage of our be Lehres Ancient and Modern, London.

Walker, C., (1987)
Cuneiform, London: British Museum Publications.

Zimmern, H., (1896)
"Zur Frage nach dem Ursprung des Alphabet", **ZDMG** 50, pp.667-70.

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

بين يدي الكتاب

المقدمة

الفصل الأول: مراحل تطور الكتابة

مراحل تطور الكتابة

أولاً: مرحلة الرسوم

ثانيًا: مرحلة الكتابة برموز المعاني ورموز الأصوات ومخصصات المعاني والأرقام

١ - رمز المعني

٢ - رمز الصوت ومخص المعنى

ثالثاً: مرحلة الكتابة المقطعية

رابعًا: مرحلة الكتابة شبه المقطعية

خامسًا: مرحلة الكتابة الأبجدية

سادسًا: مرحلة الكتابه شبة الأبجدية

الفصل الثاني: الكتابات التصويرية والمقطعية

أولاً: السومرية المسمارية

- لهجات العصر السومري

١ - اللهجة الأركانية

٢ - اللهجة السومرية القديمة

الموضوع	الصفحة

٣ - اللهجة السومرية الحديثة

- لهجات ما بعد العصر السومري

١ - لهجة العصر البابلي

٢ - لهجة ما بعد العصر البابلي

ثانيًا: الأكادية المسمارية ولهجاتها

أ - اللهجة الأكادية القديمة

ب - اللهجة البابلية

١ - البابلية القديمة

٢ - البابلية الوسيطة (الوسطى)

٣ - البابلية الحديثة

٤ - البابلية المتأخرة

ج - اللهجات الآشورية

١ - الآشورية القديمة

٢ - الآشورية الوسطى

٣ - الآشورية الحديثة

ثالثًا: الكتابات المصرية القديمة

١ - الخط الرباني (الهيروغليفي)

٢ - الخط الكهنوتي (الهيراطيقي)

٣ - الخط الشعبي (الديموطيقي)

٤ - الخط القبطي

الموضوع **الصفحة**

رابعًا : الكتابات الحثية

الفصل الثالث : الأبجدية

أولاً : الألقبائية

١ - الطريق المباشر

٢ - الطريق غير المباشر

ثانيًا : الأبجدية الأوجاريتية

١ - النظرية الأكادية

٢ - النظرية السينائية- السامية الجنوبية

ثالثًا : الأبجدية الفينيقية

١ - الخط الفينيقي القديم

٢ - الخط الفينيقي المتوسط

٣ - الحط الفينيقي المتأخر

المصادر والمراجع

- المصادر والمراجع العربية
- المصادر والمراجع الأجنبية

فهرس الأشكال

الموضوع **الصفحة**

الشكل رقم (١) : رموز من الكتابة السومرية تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد

الموضوع **الصفحة**

الشكل رقم (٢): بعض المخصصات من المصرية القديمة

الشكل رقم (٣): لوحة مؤرخة بالألف الرابع قبل الميلاد

الشكل رقم (٤): خطاب النحاس بالسومرية وترجمته إلى الأكادية يعود للقرن الثامن عشر قبل الميلاد

الشكل رقم (٥): نماذج للكتابة السومرية التصويرية

الشكل رقم (٦): حجر رشيد

الشكل رقم (٧): الأبجدية المصرية

الشكل رقم (٨): نقش مكتوب بالخط الشعبي (الديموطيقي)

الشكل رقم (٩): نص مكتوب بالحرف القبطي يعود إلى القرن السادس الميلادي

الشكل رقم (١٠): النظرية المسمارية في أصل الألفبائية

الشكل رقم (١١): نظرية هاليفي في أصل الأشكال السامية القديمة

الشكل رقم (١٢): النظرية الهيرية في أصل الألفبائية السامية

الشكل رقم (١٣): صورة الأسد

الشكل رقم (١٤): مقارنة الأشكال الربانية (الهيروغليفية) والسينائية والسامية

الشكل رقم (١٥): نظرية دونان في أصل الألفبائية

الشكل رقم (١٦): الألفباء المقطعية الجبيلية عند دروم

الشكل رقم (١٧): نظرية سبرنجلنج في مقارنة الأشكال الأوجاريتية والفينيقية مع السينائية

الشكل رقم (١٨): الكتابة الأوجاريتية

الموضوع **الصفحة**

الشكل رقم (١٩): الكتابة الفينيقية